اتحاد الكتاب العرب
ARAB WRITERS UNION
DAMASCUS دمشق

حسّان الجودي

ميتيولوجيا الأيّام

سلسلة الشّعر (١٣)
2008

ميثيولوجيا الأيام

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الالكتروني: E-mailriv@net.synecu

ys.taru@ne

موقع اتحاد الكتّاب العرب على شبكة الإنترنت

www.awu-dam.org

تصميم الغلاف: سائد سلوم

إخراج: سنديا عثمان

وفاء الساطي

❑❑

حسان الجودي

ميثيولوجيا الأيام

منشورات اتحاد الكتاب العرب
دمشق

سلسلة الشعر (13)
2008

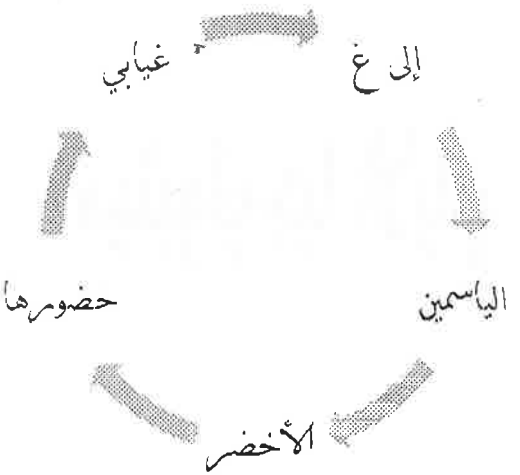
إلى غ
غيابي
الياسمين
حضورها
الأخضر

قمرٌ على عكاظ

أيها النادل

أيهـا الـنادل هـات الجمـر لـي

أطفـأ الـريح جمـاري الذابلـه

أيهـا الـنادل هـات الكـأس لـي

فـشفاهي مـن صـقيعٍ قاحلـه

المـساء الـشاحب اللـون مـضى

يغـرق المقهـى ظـلالاً آفلـه

وضـجيج العـالم الـسفليِّ في

يقظـتي الـسوداء رؤيـا ماثلـه

لـيس للموتـى حـضورٌ، إنمـا

سـكن المـوت العـيون الخاملـه

تفـتح الـريح لوجهـي بابهـا

فـأغنيّ للـشموس الـزائله

ويـديْ مـثقلةٌ تـبحث عـن

ضـفة الـنوم وراء الطاولـه

أيهـا الـنادل هـل تـوقظني

عـندما تأتـي إليـنا قافلـه

ربمـا تأتـي فـلا تكنـسني

كالـبقايا في طـريق الـسابله

أيهـا الـنادل نومـي قلـقٌ

هـات لي قهوةَ صحوٍ عاجله!

1985

سأنتظر القادمين

سـأنتظر القـادمين طـويلاً ، سـأنتظر
القـادمين مـع المـدّ ، آن اشـتعالُ البحورِ
وتـأتينَ أعـرف تـأتين ، مـثل بَسـاتين
لـوز الـصباح المـرتّل ، صـادحةً بالعـبير
وتـأتين أعـرف ، مـن تحـت إبـط الـثلوج
محلّقـةً في (أوربـا) وتائهـةً في مـصيري
سنـشرب قهوتـنا في شـوارع ـ وارسـو ـ
ونهـوي خفافـاً إلى مطلقـاتِ الـندى والحـبور

ونجلـــــس في كاســـــحات الجـــــواري وفي

ناطحـات الـتخلف، خلـفَ الـرياح وعكـسَ الحـضور

ســـنفرح مـــثل الـــصغار بحلـــوى الـــربيع

ونطلـــق مـــنطادنا الجـــسديِّ لـــبؤرةِ نـــور

سنمـــــشي علـــى المـــاء قـــبل الغـــروب

وبعـد الغـروب نـصلّي معـاً حـيث كـنّا لـربٍّ قديـر

ونـــشرب مـــن خمـــرة الـــوجد ـــ فـــودكا ـــ

تـرمم مـا قـد تهـدّم في الـروح مـن قنطـرات العـبور

أحـــبّكِ، يـــا قلـــب حمّـــلْ نـــسيج ســـلامي

إلى آخـــر الـــثلجِ، ثـــوباً يفـــيض بخـــيط الـــتمور

ويـــا قلـــب رفقـــاً بنرجـــسة الحـــبِّ حـــين

نـــؤوب مـــن الـــوطن القمـــريِّ بـــتلويح ســـور

ويـــا حـــبُّ كـــنْ سـيّداً أشـــعلِ الـــنفس بالانـــتظار

وأخـــــرجْ إلى الـــــشرفات عـــــيونَ الـــــبذور

ويـــا ســـيدي يـــا حـــنون، تـــشعّبْ إلى قـــوّةٍ

للمخالـــب، تـــرفع عـــني رخـــامَ القـــبور

ســـــننتظر القـــــادمين طـــــويلاً، ســـــننتظر

القـــادمين مـــع البحـــر، قـــبل احـــتمال الـــصخور

1994

اقتباس بستان العشق

مـاذا سـيكتبُ عـن لظـى أنفاسـهِ

والجـــرح طـــوقّها بغابـــة آســـهِ

طفحـتْ ثـريّات الكـتابة بالـندى

فتكهـــربتْ عـــشتار في أجراســـه

وتكهـربتْ شـهبٌ بـه. سـيّان...

قطـن حياته قـد فـاض في إحساسه

هـو منذ طحن الروح خازن شهقةٍ

لا يخـرج الأفـراح مـن أكياسـه

وعيونه نفقٌ إلى سجن البصيرةِ..

كلُّ أعمى صار من حرّاسه

متشرداً يطأ التخوم وزادهُ

لبنُ السراب يفيض من أفراسه

فإذا توسّد نجمةً في سعدهِ

فكّ النهار إزار نجمة ياسه

وإذا تمنى أن يناسخ جسمهُ

نفساً تشقّق عن جلود يباسه

هو ما يزال يرى الغزالة، غير أنَّ

القوس لم يُربطْ إلى نبراسه

هو ما يزال يدور كالأفلاكِ

حول النبع. لكنْ في مدى نَواسه

لمن القصائد في سرير الشِّعرِ

أيّ رسولةٍ تجلو هواء حوّاسه

والبنت تلك البنت في سهل الصدى

تدني طواحين الأسى من ماسه

يا ليته خاط الهواء بكمّهِ

ومضى ليصهر غابةً بنحاسه

لعلّه إنْ جُنّ يبفى واضحاً

بكواكب الأوراق تحت لباسه

* * *

ما زال يؤمن بالكتابة والت

تهواه لا ترضى بغير عذابِه

شقّ المياه بقطرةٍ من روحهِ

ومشى ترجّحه جسورُ إيابهِ

هو عاشقُ قرأ الوجود بعقلهِ

هو عاجزُ عن فكِّ رمز حجابه

فكأنهـــا خُلقـــتْ لتـــبعد قـــبرهُ

مـــيلاً يقـــرّب قـــبرَها مـــن بابـــه

شـــتّان بـــين جمالهـــا وخلـــودها

شـــتّان إنْ وصـــلتْ إلى أهدابـــه

أحلامـــه غمـــر الوجـــود بحـــنطةٍ

أبديّـــة الأمـــشاجِ في أصـــلابه

والـروحُ تـرجوه: اقتـبسْ بـستانَ

عـشقكَ مـن دبيب الدود في أخشابه

كـنْ يـا غـريب، غـريبها وغـريبهُ

أصـــلاً يـــضيء بماســـهِ وتـــرابه

كـن كالنسيم الطفل يركض خلسةً

وخلاصـــة الـــنيران في أعـــصابه

كـن كالـنمال على مـوائد كـوكبٍ

آثارهـــا تبقـــى بقـــاء هـــضابه

كـنْ عاشـقاً، أو لا تكـنْ، كـنْ شـاعراً

أو لا تكـــنْ. كـــنْ شـــاهقاً بـــسرابه

لتـصير أرضـكَ كالـشموس بعـيدةً

ويـــصير عمـــركَ صـــالحاً لخـــرابه

في مطلـق الأحـوال أنـتَ نـسيجُ

ذاتـــهِ فانعقـــدْ حـــبراً علـــى أثـــوابه

شـــجر القـــصيد في يـــديكَ يـــؤمّهُ

طـــيرٌ فـــلا تهـــربٍ إلى (ســـيّابه)

اقـــرأْ لـــه ســـوراً قـــصاراً علّـــهُ

يـــرتاحُ مـــن تفكـــيره بغـــيابه

أقـــنعه أنَّ عـــيونكَ الخـــضراء

سـوف تـصير قفـلَ حديقـةٍ بكـتابه

أخـبره أنَّ الـشِّعر نطفـةُ كـوكبٍ

تجـد المـلاذ إذا تحطّـم مـا بـه

والمـاء في شـفتيكَ بعـد المـوتِ

سوف يسيل بالأرواح فوق ضبابه

1998

* * *

صار كالبحر

لم يعـــد لـــي ســـواكِ في وحـــشة الكـــون
فهاتـــــي نايـــــاً مـــــن القـــــبلاتِ
لأغـــــنيّ أحلـــــى القـــــصائدِ في
مـــدحكِ، يـــا تـــوأم الحـــياة بذاتـــي
أنـــتِ لـــيمونةٌ، تُحلّـــي خمـــوري
أنـــت أرجـــوحةٌ، تحـــدّ جهاتـــي
أنـــتِ إيمانـــي بالوصـــول لجـــنّاتِ
شـــكوكي في زحمـــة الـــصّلوات
أنـــتِ أرضـــي الـــتي تـــسيل نـــداءً

أيّ مـــــاء ســـــواكِ في غيماتـــــي
كلّمـــا اشـــتقتُ زادنـــي الحـــبُّ شـــوقاً
وكأنّـــــي النـــــسّاجُ للآهـــــات
وكأنـــي فـــيكِ اكتفـــيتُ، فقلـــبي
صـــار كالبحـــر، نـــاقصَ الأمـــوات
يـــا عيونـــي الـــتي تـــرى الغـــامض
الكونـــيَّ يـــا كـــشف الـــزيت في مـــشكاتي
يـــا شـــفاهي الـــتي تخـــيط جـــراحاً
بالعناقـــــيد، في كـــــرم اللغـــــات
أنـــا بعـــض مـــناجلُ العـــشقِ، لكـــنّ
حـــصاد الأشـــعار كـــلُّ حياتـــي

1999

* * *

ذات الصباح

شـكراً علـى الـثديِّ المـضيء فإنـهُ
قـد دار في فلـك الظـلام تمامـا
هـــذا مـــسائي فـــائضٌ بحليـــبه
والـروح أطلقـتِ الحـنينَ حَمامـا
حيث ارتحلتِ يطير فوقكِ، يا شموسُ
ترفّقـي، شـقّي الهـواءَ سـلاما
فحبيـــبتي عـــسلٌ تـــرتّل آه مـــن
نحـلٍ يحـيل ثقـافتي أوهامـا
نحـلٌ مـن الآبـاط يـسرق طيـبهُ
فأكـاد أثمـلُ شـهوةً وصـياما

وحبيبتي قمر الفراشةِ، ما أحنّ
نوافذي سارتْ إليه هُيامى
ذات الخصوبة دثّريني جيداً
فالقحط ثلّج في غدي الأياما
أنا منذ تاريخ الأنوثة جائعٌ
من ثدي (لبنى) قد رضعتُ فطاما
كلُّ اللواتي برقهنّ رأيتهُ
أنّثن في بيت الوجود ظلاما
وأتيتِ، آخر، أول الأسماءِ
يا ما قد لثغتُ لكي تجيئي.. يا ما
ذات الصباح تقطّري في قهوتي
هالاً يشبّ حدائقاً وكلاما
أحتاجُ أن ألدَ القصيدةَ كي
يقول الشِّعر لي ما قلته لكِ: ماما

2001

نايا

كـلُّ المظـلات لا تكفـي لعاصـفةٍ

هـبّتْ علـيّ مـن النعـناع والقـبلِ

أنّـى تمـشيّتُ جـاء الـسيل مـندفعاً

يجـرّ كـلَّ زهـور الأرض بالعـسلِ

حيـناً أضـيءُ علـى الـشّباك شمعـتها

حيـناً أخامـد بـركاناً بـلا أمـل

وأحـتويها ، بـراعات الطفـولة في

روحـي تناوشـها صـفّاً مـن الحجـل

هـنا اقتربـتُ هـنا طـارتْ بـنا سـحبٌ

هـنا التـصقتُ علـى الأسـوار بالقـبل

هـنا فـتحتُ بـساطاً فـوقه شـهبٌ

هـناك حلّقـتُ حـيث الغـيب في المقـل

حتـى صـعدتُ عـميقاً مـن كـوى لغـةٍ

سمـراء كالحـنطةِ المرصوصـةِ الجُمَـل

ومـــا دريـــتُ بأنّـــي زارعٌ مطـــراً

حتـى لبـستُ بـ (نايـا) معطـفَ الجـبل

تلـك الـصغيرة والأشـجارُ تحرسـها

أحلـى علـى الأرض مـن تهـويدة الأزل

تلـك الغـزالة والأفـلاكُ تـصقلها

أشهى على الوقت من صيدٍ على عجل

عـــيونها كجـــبال الغـــيم واســـعةٌ

وأرضُ أقمارهـا شـفّتْ عـن الخجـل

فليـــتها غـــرّة الـــتمّوز تـــربطني

بمهـرجان الـصبا في الـشمس أو زحـلِ

لـيقمح الحـبرُ، يـا حـصّاد جـزَّ دمـي

لأشـــتري لحبـــيبي خـــاتمَ الأجـــل

2002

* * *

سيتي سنتر City Center*

النوافذ زرقاء، ليست سماءً، لتحلمَ..
ماذا تفكّرُ؟
هل تتسلّق أعلى البنايةِ
كي ترشد البدويّ إلى القمر المستترْ؟
أم تفضّل أكل (العرانيس) في السوقِ
ثم تجرّب عشق المكان الذي ينتصرْ؟

* * *

* مجمع تجاري عصري في حمص.

أراكِ مــرايا الغــيم فــوق مديــنتي

فأبصر (تلّ النصر)[1] في حلة الشوقِ

يــريد فــضاءً في جــوارك أزرقــاً

وغرباً من الأجساد يعلو إلى الشرقِ

عجــبتُ لــه أو لــي ، فــثمّة رؤيــةٌ

تراودنــي حــبراً يــشفّ عــن العمــقِ

على سطحكِ المصقول أجلس مفرداً

وتحتيَ (تلّ النصر) يبلع ما ألقي :

قطــيعَ جمــال أو قطــيع معــادنٍ

يذوب مع التاريخ في زحمة الخلقِ

تخالطــت الأشــياءُ حولــي كأنّهــا

جنين عمــاء الخلــق في أول الطَّلْــقِ

هــنا الــسوق يلغــو في رمــاد لغاتِــه

هناك دروبٌ عاجزاتٌ عن النطقِ

---

[1] تل النصر : مقبرة مدينة حمص الجديدة.

هــناك وحــوش في أخاديــد قلعــةٍ
تقصّ مـن الأجساد أجنحةَ التوقِ
فلستُ أرى مـا يجعـل البرج شاهقاً
ولستُ أرى سيفاً يحزّ على عنقي
ولستُ أرى مـا يجعـل الروح جرَّةً
تعوم على نهرٍ، ضفافه لا تَسقي
أنـا مـثل أعمـى في الـشوارع جـالسٍ
وكـلّ نمـال الحزن تخرج مـن حلقي
أنـا بـيتُ شِـعرٍ لا يـضاف إلى الـذرى
وكلّـي انـتظارٌ أن يـضيء مـع البرقِ
وكلّـــي انـــتظارٌ أن تمـــرّ جنازتـــي
فأرفـع قلـبي كـي أفـسّرَ بالعـشقِ

2004

* * *

أسئلة على وجه فاعلاتن

لم لا أقــوى علــى جــرّ الجِــبالِ
وعلـى سَحبِ الـصحارى بالجِمـالِ
وعلــى صــنع جــسورٍ مــن مــياهٍ
تــــصل الأرض بآبــــار الخــــيالِ
لم لا أقــوى علــى ثقــب عيونــي
لأرى القابــع في عمــق الظــلال
وعلــى مــزج غلالــي بنزيفــي
لـيكون الـصمت لـي خبـز الـسؤال
لم لا أقوى على شيء سوى التحبير
حتــى نــزفتْ منّــي الدوالــي

وأنـــا أكـــتب تمّـــوزاً جديـــداً
غـــير أنّـــي واقعـــياً لا أبالـــي
دائمـــاً أســـقط في نهـــر صـــلاتي
أوكسجيني الحزن، والشعر ابتهالي
أيهـــا المـــاء لقـــد صـــرتَ ضـــريحي
فلمـــاذا تأكـــل الـــنارُ جَمالـــي
يوســـفيّاً لـــستُ لكنّـــي قـــريبُ
الأصلِ والشمسِ إلى حسن الليالي
فلمـــاذا يـــسكن القـــبحُ جـــواري
ولمـــاذا يمـــلأ الفحـــم ســـلالي؟
ولمـــاذا يـــشتم الجـــزّارُ قطّـــي
ولمـــاذا يحـــضر الـــذئبُ احتفالـــي؟
ولمـــاذا يـــسكن العاصـــي قطـــيعُ
الكيمـــياءِ الهمجـــيِّ المتتالـــي؟
كـــم ثـــوانٍ عـــشت في كـــلّ مكـــانٍ
كـــم دهـــورٍ عـــشتُ في كـــلِّ انـــتقال!

ثـــم مـــاذا.. هـــا أنـــا مـــثل أجـــيرٍ

أدهـــنُ الجـــدرانَ في بـــيت الـــنمال ! !

مـــا ســـألقى بعـــد أن أكـــشف ظهـــري

غـــير تلـــويحة رمـــحٍ وســـؤال :

أيهـــا الـــشاعر قـــد صـــغتَ بياضـــاً

فلـــم الأســـود يـــبدو كاللآلـــي؟

آه لا جـدوى ، صـديقي المـوت قربـي

ينـسج الأكفـانَ مـن قطـن انـشغالي

آه لا جـــدوى ، أنـــا غـــير ســـعيدٍ

أو حـــزينٍ. إنـــني غـــير مـــبال

والـــذي يمـــنعني عـــن فـــتح شـــرياني

هـو التفكير في بحر على وزن الجبال !

حـــسناً ســـخريتي عـــادت ســـريعاً

فلأقلـــها هـــذه المـــرّة مالـــي..!

2005

يا دار عبلة

يـــا شـــاعرَ الـــصحراء، يـــا فـــرس
المسافات الطليقة. كم سكنتَ كياني!
هـــل تذكـــر الطفـــل الـــذي علمـــتَه
الإيقـــاعَ، والـــتلويحَ بالأشـــطان؟[1]
كـــم كـــان يعـــشق عـــبلةَ الخـــضراء
كـــم بلَـــغَ الـــسماءَ بـــنخلة الأحـــزان!
كـــم كـــنتَ تحملـــه علـــى الأكـــتاف
كـــم جـــبلٍ رأى، في آخـــر الـــوديان!

---

[1] الأشطان: الحبال يستقى بها.

هـــل تذكـــر البحـــرَ الطـــويلَ، ومـــا
تقـــاذف فـــيه مـــن درٍّ ومـــن حيـــتان؟
هـــل تذكـــر البحـــرَ البـــسيطَ، وقاربـــاً
فـــيه انتظـــرتُ شـــجاعةَ الفرســـان؟
أخـــرجتُ مـــنه، حديقـــةً مـــوزونةً
فهـــزأتَ بـــي مـــن خفَّـــة الميـــزان
هـــا أنـــتَ وحـــدكَ في صـــباحِي جـــالسٌ
في قهـــوة الـــشعراء دون (ظعـــان)[1]
صـــحف الـــصباح تـــشبُّ فينـــا (أدهمـــاً)[2]
دعـــــنا نفـــــسّر دكـــــنة الألـــــوان
قلـــتَ: القـــصيدة لا تـــريد بـــنوّة
التجـــريب والإبهـــام والـــشطحان

---

[1] الظعان: حبل يشد به الهودج.

[2] الأدهم: الحصان الأسود.

قلــتَ: القــصيدة آسُ جــرحٍ نــازفٍ
يــــتقمّص المعنـــى بـــلا أكفـــان
انظــرْ إلى طــير القــصيدة في يــدي
هــل يــشبه الــصقر الــذي أعطانــي
مفــتاحكَ الــذهنيَّ والــشعريَّ كــي
أهــبَ القــصيدةَ حلْــية الأوزان
انظــرْ إلــيّ، حــداثتي، غــربيّةٌ
شــرقيّةٌ، وهمــيّةُ العــنوان
النثــر يفــتح بابــهُ لهــبوبِ
عاصــفةٍ مــن الفوضــى بــلا اســتئذان
ويــد التفاعــيل القديمــة
تغلــق الــشبّاكَ خــوفاً مــن صــدى البركان
فــإذا عــصرتُ ســلالةً بجلالهــا

بلـــغ (الـــنجوع)[1] مـــراتبَ الغلـــيان
وإذا شـــــربتُ حداثـــــةً يومـــــيّةً
مـــلأتْ كـــريّات الـــسراب جَنانـــي
فيّ اخـــــتلاط عناصـــــرٍ وزلازلٍ
فيّ انـــــصهار القهـــــر بالأبـــــدان
فيّ انتـــــصار الحـــــبرِ، فيّ هـــــزيمةُ
الجـــسدِ، التـــصاقُ الحـــرب بالأجفـــان
فيّ التـــــضادُّ، خـــــريطةُ الجيـــــناتِ
حاســـوبُ المفاعـــلِ واقـــترانُ الجـــان!
ســـيّارةُ الإســـعاف، كـــيّ الجـــرح
زرعُ القلـــب، نـــسخُ الـــروح للـــشيطان
أنـــا مفـــردٌ، جمعـــي كـــثيرٌ غـــامضٌ

---

[1] النجوع: ماء مع دقيق تسقاه الإبل.

مـــثل المدامـــة حيرتـــي : خِلاّنـــي
تتقطّـــر الأعـــنابُ في صـــمتي
وبوحـي ، كـأس خمـرٍ ، لا يحـبُّ دانـي
والـــشّاربون تفـــرّقوا. لم أحـــسنِ
الكـــشفَ الـــذي يفـــضي إلى الإدمـــان
أحـــتاجُ معجـــزةً لأخلـــق حالـــةً
فـــيها الدهـــور دقائـــقٌ وثـــوان
أحـــتاجُ ، مـــا أحـــتاجُ ، تاريخـــاً
نـــسيجاً ، عالـــقَ الأزرارِ بالأكـــوان
أحـتاجُ ، مـا أحـتاج ، معطـفَ حاضـرٍ
خـــيطتْ علـــيه أصـــابعُ الإنـــسان
وأقـــولُ خمـــري فاســـدٌ. لـــو أنـــني
أسّـــستُ كـــرْماً خـــارج البـــستان

بـــستاننا (بعنيـــزتين)[1] ، وكـــرمنا

مـــا زال يـــبحث عـــن دمٍ ريّـــان !

أنـــا لا أريـــد أبـــوّة. أنـــا لـــستُ

مـــثلكَ بالقـــنا مـــتكامل البنـــيان

أنـــا لـــست (رامـــبو) ، أنـــزلُ الأقمـــار

مـــن ســـقف الحـــواسِّ (لـــزورقٍ ســـكران)[2]

أنـــا لا أشـــابه وردةً في حقلـــها

فالـــنحل تمّـــوزي علـــى الأغـــصان

أنـــا لا أريـــدكَ ، بـــل أريـــدكَ

كـــم أريـــدكَ حاضـــراً في خلـــوة العلـــيان

تمـــشي ورائـــي كـــي نعلّـــمَ نجمـــةً

أن تحـــسن التغريـــر بالجـــدران

---

[1] عنيزيتين : اسم لموضع ذكر في معلقة عنترة.

[2] الزورق السكران : من مؤلفات رامبو الشعرية.

أنـــا كـــم أريـــدكَ جالـــساً في آخـــر
الإيقـــاع تغمـــس بالـــندى ديوانـــي
أنـــا كـــم أريـــدكَ عاشـــقاً، نُعْلـــي
لعـــبلةَ هـــودجَ الأحـــلام فـــوق بنانـــي
سأضـــمّها وهمـــاً إلى صـــدر الـــرؤى
ليـــصير حـــبري دافـــئ الألـــبان
سأشّـــجر القمـــصان فـــوق حريـــرها
وأبـــــاركُ العيـــــنينِ بالقـــــرآن
حـــرٌّ بهـــا، مـــن دون طعـــنِ مهـــنّدٍ
مـــتجدد الأعـــشابِ والغـــزلان
يـــا دار عـــبلةَ بالجَـــواء تمنّعـــي
كونـــي القـــلاعَ لأوّلِ الـــشجعان
حيّـــيّتِ مـــن طلـــلٍ تقـــادم عهـــده
لـــي فـــوقه، حـــريّةُ الطّيَـــران

فـإذا سـقطتُ هـدمتُ بـرجاً قـاحلاً
وإذا عـبرتُ شُـحنتُ بالإيمـان
طللـي أمامـي، مـصنعٌ أو شـارعٌ
يتـنفس الأرواح مـن أبدانـي
فأنـا البحارُ، أنـا القطـارُ، أنـا الغـيومُ
أنـا المكـانُ بحـضرة الأزمـان
وتـساؤلي مـاءٌ أحـاورُ غـورهُ
حتـى أرى الآبـارَ في قيعانـي
وقـصيدتي نـبعٌ يعـرّف نفـسه
نهـران بالـشّعراء يتـصلان

2005

* * *

شكراً لها

شـكراً لهـا جـاءت مـع الغـيم البعـيد
فـــشقّق اللـــيمون أوردتـــي
شـــكراً لهـــا عـــبقتْ مواســـمَ مـــن
رؤى الأشـــجار والعـــشّاق في رئـــتي
لكـــتابها أهفـــو، لـــسطر اللـــوز
والعُـــنّاب، خـــيرِ ثقافـــةِ الـــشفة
لحـــنانها أشـــتاق، للـــبن المـــضيء
يـــصبّ في آبـــار ذاكرتـــي

هـــل جـــرّةً مـــن نـــبعها تكفـــي

لأخلـــق عالمـــاً مـــن طيـــنة اللغـــة؟

هـــل لمـــسةٌ مـــن شـــعرها أو صـــدرها

تفـــضي إلى تكـــرار معجزتـــي؟

يـــبدو ســـؤالي إبـــرةً... لـــو أنهـــا

اعـــتذرتْ رأى النـــسّاجُ أســـئلتي

لـــو أنهـــا اعـــتذرتْ، نـــدبتُ

بكـلِّ ملـحٍ...: يـا بحـاراً أيـن سـيدتي؟

لـــو أنهـــا اعـــتذرتْ، هـــزمتُ بـــدون

شـــكٍّ فيلـــسوفاً شـــذّ عـــن صـــفتي

لكـــــنها حـــــضرتْ، فـــــشكراً

للغـــبار/المـــاس، في مـــرآة باصـــرتي

شـكراً علـى وضـع الخـيول أمـام

قلـبي وانطلاقـي دون بوصـلة

شـكراً علـى القلـق المُكَهـربِ

واقتـناص الظـبيِّ مـن أعمـاق أغنـيتي

شـكراً لهـا ، انطلقـتْ إلى بحـر

الغمـوض وكلّمـتْ في المهـد أشـرعتي

2006

* * *

حداء في نيسان

واصلتُ في نيسان غسل قصائدي
فمزجت حبري بالرؤى الخضراءِ
بدلّتُ أثواب الخريف بإبرةٍ
وشبكتُ نجمات الهوى بسمائي
وصعدتُ نحو الكون، معراجي
الحماسةُ، باحثاً عن صفحتي البيضاء
حتى انتهيتُ إلى منازل غيمةٍ
في ميسلون تحّنُّ للإصغاء
لم يترك الشعراءُ لي مفتاحَها
فشققتُ نافذةً بغصن دمائي

روحـي تعمّـق في المكـان جـذورها
والـشعر يُنـتشُ مـن شـقوق إنائـي
فكأنمـا الـشامُ الأنـيقةُ عروتـي
المحـبوكةُ الأطـراف بالـشهداء
وكأنما (حمصُ) النديةُ من عناق
المجـدِ تخفـي ثـديها بردائـي
الذكـريات تعيدنـي لحـضارةٍ
عـربيةِ الأنـساب والأهـواء
صـنعتْ جـبالاً مـن ذرور لآلـئٍ
وجـرتْ كنـبع الله في الأمـداء
الذكـريات تـضيئني بـبروقها
فأضـيءُ أوراقـي بـنار (الـلاء):
لا لـن أوسّـد طفلـةَ الكلمـاتِ
قامـوسَ الحـنين علـى سـرير حدائـي

لا لـن أواصـل مـتعة التنقيب عـن
بطـــلٍ ضـــبابيٍّ يـــنام ورائـــي
لا لـن أحـنّ ولـن أجـنّ ولـن أسلّم
(عـــنتر العبـــسيّ) رمـــحَ رجائـــي
شـغفي ترابي، .. ألـفُ سيفٍ شامخٍ
ســـندٍ لحلـــم يمـــامتي الـــزرقاء
وحـــصانتي فكـــرٌ يلاقـــح غـــيره
كـــيلا أمـــوت كـــدودةٍ عمـــياء
أنا طفل هذا العصر، مشقوقُ الجبينِ
ضـــمادتي وطنـــيّةٌ ودمائـــي
وأنـــا هـــنا طـــيرٌ يحـــاور ســـربه:
لا يـــنفع الـــتحديق بالأشـــلاء!
ويحـطّ فـوق القمـح يطحـن جمـرهُ
لـــيفور خبـــزاً في يـــد الأبـــناء....

وأنـا هـنا أتقمّـص الـرؤيا لأصـنع

سـلّم الـتاريخ مـن أعـضائي

رؤيـا تـشكّل عالمـاً كـم عاشـقٍ

ضـخّ الـدماء لأرضـها المعطـاء!

رؤيا تفيض بحسنها كم (يوسفٍ)

ربـط الحـبال ببكـرة العلـياء!

رؤيـا تجـدّد نفـسها بـنقائها

رؤيـا مـن الإيمـان بالـشرفاء...

وأنـا هـنا في ميـسلون بـلا خطـىً

أحـصي نمـالَ الـضوء في الـبطحاء

كـم غـادر الـشعراء يوسفَ في فمـي

حتـى قـرأتُ الـدار دون عـناء

يـا دار يوسـفَ في دمـشق تكلّمـي

وعمـي صـباحاً دائـم الأنـباء

الأهـــل والجـــيران مازالـــوا هـــنا

يـــتقاسمون الحلـــم كـــلّ مـــساء

والمـوتُ نحـلُ الكـون يـصنع غابـة

في كـــــلّ دربٍ للطفـــــولة نـــــاء

يـــا صـــاحبيَّ تمـــسكا بالقلـــب إنَّ

عبارتـــي كـــرةٌ مـــن الأصـــداء

ســتظل تـــصعد للجَمـــال بـــثلجها

وتظـــل تـــسقط مـــن ذرى الإيحـــاء

يـــا صـــاحبيَّ تـــراجعا نحـــو الخـــيام

بمفـــردي ســـأعدّ ســـمّ دوائـــي

وأغـــبّ تـــرياق الطبـــيعة ســـاخناً

مـــن دورق الـــتفكير بالأشـــياء

فلـــن أغـــني؟ يـــا قـــصيدة أخرجـــي

المخـــبوء مـــن أعماقـــك العـــذراء :

ذهـبٌ، ملائكـةٌ، غـلالٌ، حكمـةٌ
طَلْـقٌ سمـاويٌّ، جـنينُ ضـياء!
هـل كـان وهمـاً هـل ألقيت السلام
علـى بـلادي ذات يـوم شـقاء؟
هـل كـان وهمـاً حـين أثلجـني
نـداءٌ طـيّبٌ مـتألم كندائـي؟:
سـأعود مـثل شـقائق الـنعمان
حتـى يفهـم العـشاقُ سـرَّ بكائـي
سـأعود لكـنْ غـابتي حجـريةٌ
فأكـتبْ سـؤالي: أيـن عـيد المـاء؟
وأنـا أحـاور كـلّ نـبع ممكـنٍ
وأنـا أجـفُّ كدمعـة الـصحراء
وأنـا علـى أرجـوحة الـتاريخِ
فـوق دمـشق أحـضن خـوذة الـشهداء

2007

لأنَّ الحُبَّ

لأنَّ الحـــبَّ تـــأريخُ الحـــياةِ

ســأحرق في يــديك مذكراتــي

وأرفـــل في حريـــرٍ بابلـــيٍّ

وأقــرأ في شــفاهكِ معجزاتــي

وأعـصر مـن غـيابك خمـرَ عمـري

وأكـسر كـي تعـودي كـأسَ ذاتـي

كـذا تـبدو الحـياة.. نقـيضٌ وهـم

كـذا تـبدو الـنقائض مـن صـفاتي

أحـبكِ، لا أحـبك، غـير أنّـي

كمـــئذنةٍ أفـــسَّر بالـــصلاة

ولـي فـيها حمـائمُ مـن لهـيبٍ

ولـي قلـقٌ يكهـرب تمتماتـي

كأنّـي قـد خلقـتُ بـلا سمـاءٍ

كأنّـي قـد أمـوت بـلا رفـاتِ

كـأنّ العـشقَ أشـجاري وفأسـي

أقلّمهـــا وأطمـــر أمنياتـــي

أحـبك، لا أحـبك، .. مـا ترانـي..

وجـــوديٌّ أهجّـــن أحجياتـــي!

ترابـــيٌّ أحـــنّ إلى يقـــيني...

مـساكب مـن عظـامٍ بالـيات!

بدائـــيٌّ ســـعيدٌ في كهـــوفٍ

حـــضاريٌّ وحـــيدٌ في فـــلاة!

أحـبك ، كـم أحـبك ، كـم أعانـي

مــن الحــبِّ المــنمذج في قطــاة !

يــساهرني لــبعث الــشمس لــيلاً

وشــقَّ الــصدر بحــثاً عــن دواة

مــــساءاتٌ معذبــــةٌ وصــــيدٌ

طـيوفٌ مــن قــصائدَ غامــضات

فديـتكِ كـم جَمَعْـتك مـن شـتاتي

وكـم غيّـرتُ وصـفك في لغاتـي :

بنفــــسجةٌ تطــــاوعني صــــباحاً

ونحــــلاً لا يطــــاوع أمــــسياتي !

محــــرّرَةَ الجَمــــال إلى هوائــــي

ومــوْثقَةَ النخـيل علــى جهاتــي !

مذوّبــــةٌ بــــصخر الأرض عطــــراً

وطــــيّعةَ الــــتحوّل في حــــصاة !

أحـبك، كـم أحـبك، كـم تعانـي

مـــن الـــيأس المقفـــى أغنياتـــي

علـى وزن الطبـيعة كـدت أمـشي

وبـي ثقـل الجـبال ـــــ الذكـريات

أكاثـــر كـــلّ وهـــم في طريقـــي

وأقـنع مـــن حلـــيبي بالفـــتات

حليبي، نبع فكري، ضوء شِعري

سـقاني الحلـم فانبـثقتْ حياتـي

فكـــيف أكـــون ذاتـــياً جمـــيلاً

بـــدونك يـــا مفـــتّقة النـــبات!

وكـــيف أنـــام في كفـــيك دهـــراً

ودهـــري بـــضع ثانـــيةٍ وآت؟

أحـبك، كـم أحـبك، كـم أحـبّ

انـتظاري فـيك في زمـن المـوات

2008

ظلال وألوان

جدتها تسأل
عن جمل جاء بورد

الغيابُ تملح بالدمعِ
طار الهواء بأبخرة الثلجِ
هل (حمص) مثلي ستشرب عاصي الندامةِ؟
طار الهواء إلى بيتها
قام جوعي من التمرِ
هل في صباح الأحدْ
سوف نأتي الكنيسةَ؟
هل بعد قطع الأصابعِ
سوف نقول لكاهنها :

زوّج الكلماتِ مقصّ الجسدْ!
أوقد الربُّ عشب القطيعةِ
نصعد في جبل الانتظارِ
خذي طيرك الأنثويَّ المحلقَ
من كلِّ زوجٍ خذي سفراً
وافتحي كوةً في الأبدْ
قد يعود الحمام على فضة الشمسِ
هل سنريق الخصوبةُ
في قنوات الرحيل إلى بلدٍ
ليس لي أو لكِ، ابتعدي...
ليس آجرّةً، نبضنا المتسارع، تسند سقف البلدْ
نبضنا خارجٌ من ظهور الجمالِ
حملنَ اللبان إلى حانةٍ
تحت جلد (كراكوف)[1]

---

[1] كراكوف: مدينة عريقة في القدم والحضارة، تقع جنوب بولونيا.

يغسل أقدامها المطر المتساقط من جرة الزمن الشاهقةْ
لافتات الطريق تشير إلى قلعةٍ
قبعات النساء إلى مرقصٍ
غير أن الظباء على شعرها
شاهدتْ جملاً شاخباً
ــ سنموت إذاً بعد صيف، تقولُ
أقول: نقوم من الموتِ
حين تؤوب الجمالُ
فتضحك عشباً: أتذكر ساعي البريدِ
الذي خاف من جملٍ
ظنّه في الحديقة يرعى!
أتذكر دهشة عائلتي، إذ رأتكَ أليفَ التناقضِ
تشرب (فودكا)، وتغمز للجدة النائمهْ:
جدتي، .. جدة الحرب والسلمِ،
إنّي خببتُ على جملي ألف عامٍ
لكي أشتريكِ

خذي جدتي من دموع الصحارى مؤونة حربٍ
أراك لهاجسها تخزنين الغلالَ
خـذي جـسدي، وذرّي علـيه انتـصارَ شـوارع
(وارسو)[1] القديمة.
رب اليهود تطلع من قنطرات المدينة نحوي
وقوّض خيمة روحي
تمسك بي قمرٌ مسرعٌ للبوادي
أشار إلى خيمة البدويِّ
نزلتُ إلى السوقِ
"ماذا تبيعُ"؟
مواعيدَ قلبٍ
وحريةً للصراخِ
ومنديلَ غيمٍ على شعرها القمريِّ
مضاءٌ بـ (تدمر) قبل الجنودِ

---

[1] وارسو: عاصمة بولونيا، تميزت بالتجمع اليهودي الكبير في أعوام الحرب

"قفا، واحلبا ناقة الشيخِ"
ردد سوطٌ
تمسك بي قمرٌ راحلٌ للثلوج
رماني على نهر (أودرا)[1]
انتظرتُ، فجاءت بخطّافها البلحيِّ
أكلتُ، ونمتُ ربيعَ الحواس الطويلَ
أفقتُ، وأرسلت (عبد السلام)[2]
صديقي بحمص، وديك الورود الذبيحة، للجامعةْ.
مطرٌ في الصباحِ
طويلٌ شتاؤك، يا قلبُ
هل نقرض الشعر، كي نذبح الوردَ
أم نتعلقُ بالذكرياتِ؟
شربنا، وطرنا، صعدنا إلى الروحِ

---

(1) أودارا: أحد أكبر الأنهار البولونية.

(2) هو عبد السلام بن رغبان: شاعر عباسيّ عاش في حمص، ولقب بديك الجن.

أين المواويلُ؟
(ديسكو) الحرائق يقلع عينَ (الأذَانِ)
وخدَّ الصباح المعطرِ
بالقبل الضائعات على عنق (ورد)[1] قبيل الكنيسةِ
أين الحمام؟
ثياب دراويش (حمصَ)
تبهرج سوق الثلوجِ
ونسوة (وارسو) على شبقٍ ينتظرن المسيرةَ
كم جملٍ سوف يحمل قصر الحريمِ!
وكم ولد سوف يرفع ذيل الأميرِ!
وكم مرةٍ ستنوء السماء بآذانها؟
عاد (عبد السلام) إلى البيت فجراً
رأى (ورد) تعجن خبز الصباحِ
تثاءبَ..

---

[1] وردٌ: جارية ديك الجنّ، قتلها غيرةً.

مدّد في ظلها
ابن آوى صديقَ الثلوجِ
وأطعم غيرته الجائعةْ
الوداع تملّح بالدمع والدمِ...
هل (حمص) مثلي
عظامُ يد الفاجعةْ؟

1994

***

مقاطع من كتاب الحيوان

1

تزحف الأفعى إلى قنِّ الدجاجْ
دون أنيابٍ، بصمت وابتهاجْ
تدع الصيصان في نوم هنيءٍ
تكتفي أن تضع (الدش) على أعلى السياجْ!

***

2

النعامةُ في القصر تحضن بيضَ الذهبْ
النعامة راضية البالِ
لن تصف العرب الآن فعلتها بالحماقةِ

من يجرؤ الطعن في (البيك) رأسِ النسبْ!؟

***

3

سمع الدودُ عن خبر المذبحةْ
أسرع الدود نحو الوليمةِ
لكنّ ناطقه الصحفيَّ تعجّب من قلّة اللحمِ والرائحةْ!
ــ بالعطور تطيب وجه المدينةِ
والشهداء من الجوع كانوا عصارة زنبقة مالحةْ ــ

***

4

عنزةٌ طارتْ فضجّ الحيّ من فعلِ بطلْ
قال شيخ: حملتُ أدوية الأطفالِ
أطنانَ دقيقٍ وعسلْ
وادّعى الحدّاد: طارتْ بخيام وحرابٍ

لبلادٍ تشتكي الذبحَ
وقال العمّ: كي تطلقَ في الأفق سحاباتِ الأملْ
ابنة العنزة قالت باهتمامٍ:
حين طارتْ، أعند العنزات أمّي، فلكي تثبتَ مصداقَ المثلْ!

***

5

نجح الكنغر في إحدى الدعايات لتنظيف الصحونِ
اشترى نظارةً، وامتهن التنظير في المقهى وإسبال الجفونِ
نسي القفزَ، ولم يلبثْ طويلاً
عاد للغابةِ
لم يقدرْ على شيءٍ سوى بوس الذقونِ

***

6

الديك بحارتنا صيّاحٌ لمّاحْ
يعرف فكّ الحرف وتاريخ الإصلاحْ
حلاّق الحارة عشّابٌ مضطلعٌ بالأرواحْ
اشترك الحلاق مع الديك بتركيب الأملاحْ
هل شفي الناس من العلاّت جميعا؟
لا أعرفُ...
لكنّ الديك تأخر عن إيقاظ الفجرِ
فجاء الفجرُ مريضاً يحتاج إلى نصل الجرّاحْ

***

7

هرب الأرنب من قصف القنابلْ
اختفى داخل جحرٍ لا نهائيٍّ مع الأولاد والزوجةِ
واختار عشاء الخبز والزيتونِ
صلّى ودعا الله لكي يرزقه نسل السنابلْ

ملأ الجحر بآلاف القبائلْ
فاشتكى المريخ من فقد الجزرْ
واشتكى الأولاد من قصر النظرْ

***

8

اللقلق والبلبل والبطُّ اجتمعوا لمناقشة الاستنساخْ
صرخ اللقلق، قفز البلبل، والبطُّ تساقط ريشاً فوق الأوساخْ
ضحكتْ (دولي)[1] من هذا الحشد الهائل في التلفزيون وغنّتْ:
ما أبأسَ طيراً لا ينجب جاء يجادل في لون الأفراخْ

***

---

[1] النعجة المستنسخة الأولى.

9

قرر الصرصار أن يشتغل الصيفَ
وألاّ يسلب النمل غذاءهْ
جدتي نامتْ، فأكملتُ:
اختفى الصرصارُ من دون شهودٍ. إنّما
شوهدَ شرطيٌّ غريبٌ وهو يلقي للنفايات حذاءهْ!

***

10

القطُّ يملك مصنعاً فيه يعدُّ التوتَ من أجل العصيرْ
والناس تشرب ثم تشرب دون معرفة المصيرْ
الكلب وحده في الشوارع أدرك التغيير في كلِّ الوجوهِ
لأنه (التفئير) أصبح يبدأ في السريرْ

***

11

من علوٍّ يلمح الصقر الفريسةْ
طعن السارقُ ما ظنَّ عجوزاً
ضحك الصقرُ... فقد كانت عروسَهْ!

***

12

المهر الأسود طار إلى نجم العلمِ
لم يعشق ذاك البلد الثلجيَّ كثيراً
لم يفهمْ كيف المهرة تخرج في ثوب الحلمِ
المهر الأسود يعرف سرَّ فحولتهِ
فلذا استبدل أزرارَ الحاسوب بأزرارِ اللحمِ!
ودعا الأمهرَ أن تكسر رأس الغرب بمطرقة الجنسِ
المهر الأسود طار..... وعاد بلا رأسِ

***

13

الهدهد لم يخبرني عن شيءٍ. طار وعاد مع اللقلقْ
لـن أذبحه أقسمُ، حتى أعرف سرَّ الزيت الطافي فوق البحرِ
فأرسلت الجنيَّ الأحمرَ عاد وفي فمه دخان أسودْ:
أقتلني يا مولاي فلم أقدرْ أن أنقذ باخرةً تغرقْ!

***

14

في الطابق الأرضيِّ خلف السور تسكن الفراشةْ
وعادةً تأخذها مثل ارتعاشةْ
حين يقوم الدبُّ من نوم الضحى
في الطابق العاشر، كي يطوي فِراشهْ

***

15

يا ذئب طوّلتَ المخالبَ
كم رؤى مزّقتَّ فاحمرتْ عيونُ
يا ذئب لا تخلدْ إلى النوم الهنيءِ على بساط الشّعرِ
كلني كي أعرّفّ عنكَ:
أنتَ خلاصةُ الأغنام تعصرها المذلّة ثم تهضمها البطونُ

***

16

يسكن الجندبُ في شارع إصلاح الحضارةْ
زوجة الجندب حبلى
فلذا أشعل بخورا وصلّى
كي يكون الطفل أحلى
ثم صلّى
طالباً من ربه رزقاً وفيرا
ثم صلّى

ثم صلّى
آخر الأمر لميلاد البشارةْ

***

17

عرّاف الغابة، خلدٌ مشهور بالصدقِ
دعا كلَّ الحيوانات إلى الساحة بعد الحلم المفزعْ
قال: رأيت الأنهار حموضاً تحرقُ
والآبار سموماً تفتك والأرضَ مصاطب قتلى
الريح زجاجٌ أسودُ، والأشجارُ احترقتٍ
بالإشعاع المرعبْ
ضحكتْ كلُّ الحيوانات من الخلد الأعمى
وانصرفتْ لا تدري
تسحبُ خيط الحلم الخلديِّ إلى الحاضرِ
والخلدُ العاقلُ، العاقلُ أكثرَ من (نوبل) قرّرَ ألا يُنجبْ

***

18

لم يسقطْ وحشٌ في النهرِ
ولم يغرقْ فيلُ
فاض النهرُ وغطّى الأرضَ
لأنَّ الشاعر شوهد قرب الشاطئِ
وهو يخرّب أوكارَ الصمت بسكين الحبرِ
لتقفز منها خيولُ....

1990

* * *

مقامات

1ـ مقام السؤال:

أأضـمّها جـسداً تفجَّـر بـرقهُ، في الكـفِّ سـرب حدائـق وسواقِ

أم أستحيل إلى جرارٍ قربها وأنام مخموراً بوعد الساقي؟

2- مقام اللغة:

مررتُ بالحان المقفّى

فزينتْ عيناك لي

محاجرَ الحرف المصفّى

على جبيني ألفُ ألفُ رحلةٍ

على شفاهي تأتأتٌ ليس تشفى

3- مقام الجسد:

في أثدائك توتْ
وأنا كالنحل على إيقاعكِ
أرشفُ من ثقب الياقوتْ
في بطنك حالاتٌ من ريحان
وهناك وراء العطر المتجسدِ برقوقاً أو كرزاً
أو شيئاً لا يشبه شيئاً
أجلسُ كي أتأملَ معنى الكونِ
أجسُ الأسرار الأولى
أدخلُ.. أخرج.. أحظى بالجنّاتِ
أفيضُ بماء قدسي يغسل عنكِ رماد الأسئلة الكبرى:
هل للضوء سلام يسندها الإيمان بجدوى (الجسد ــ القبر ــ الطفل القادمِ)
أم أن الضوء له معنى (باب الظلمة) حيث ولجتُ
وعاينتُ الملكوتْ!

4- مقام الموت:

يا سيدي الموت ما أشقاك من روحِ
تختار ذريّةً تذرى مع الريحِ

ها أنتَ كالصقر لا تسقيه مقبرةٌ
وتحته الأرضُ تسقي كلَّ مضروح
خذني رفيقاً ولا تعجلْ بخاتمتي
لأبدع الليلَ من خوف المصابيح

5- مقام البوح:

تحيطني زجاجة القهرِ
أذوبُ في ملامسات الماء والحبرِ
وحين لا أضيء بالخمرِ
تكشفني قصيدة السرِّ

6- مقام اللعب:

من مخمل الشفتين ألتقم اشتياقي
أنا جمرة النسّاجِ
في لعبي احتراقي...

7- مقام الغموض:

لن أوضّحَ نفسي!
لقد جئت مستتراً بالظلالْ

لست ليمونة كي أقشَّرَ
ليستْ دمائي من الماء والملحِ
لكنني الكيمياء التي يتقطر منها الخيالْ

8- مقام الحرمان:

كنتِ بيضاء كما النجمة، ما أجمل أضواء الحليبْ!
كنتِ أحلى من رحيق الخوخِ
كم من غابة تحت قميص العطرِ كانت كسراب الحلم،
تدنو وتغيبْ
وأنا كنتُ بعيدا
خجلي يعرق حبراً فوق أوراقي
وقلبي قمرٌ ينزف بالعشق الغريبْ
أنت كنتِ الضوء في غصن اللهيبْ
وأنا كنت رماد الشمسِ في حقل المغيبْ

1995

***

بيتها في الصباح

قلق الشموع، وياسمين الشاي
موسيقا مرتّلةٌ، وعطرٌ غامضٌ في الكائناتِ
منمنماتٌ كالصلاةِ
وتمتماتٌ تفضح الأشواق، يكتمها المكانُ:
خواطر الصوف الأنيقةِ
غابة القشِّ الملوّن
واللحاءُ المخمليُّ على الزجاجِ
أمام فرو الثعلب العسليِّ
جمعٌ من ملائكة صغارٍ يحملون رداءها
مطرٌ خفيفٌ من أصابعها على الزمن البعيدِ
وسادتي روحٌ تئنُّ
ولوحتي (فوق الجبين) تضيئني:

في منزل العشق القديمِ
رأيتُ وجهي حالماً كسحابة خضراءَ
قلبي كان يقفز كالحَمام على موائدها الشهيّة : قبلةٌ
أو قبلتانِ
غداً ستحظى بالمزيدِ
غداً يسافر للبعيدِ
غداً يموت على ذراعيها فتحييْهِ
تموت على ذراعيه ، فيتركها مع الأشباح في ليل الجليدِ
غداً يصلّي كي يراها(والكتابة تسرج الفرس
الوحيدة)... كم بكاها !
كم رآها وهي تطبخ ، ثمّ تحلب ناقة البيت الهزيلةِ
ثم من تعبٍ ، تنام أمامِ لوح الرسمِ
حيث الأبيض الدموي يقترح الخلاصَ
فهل إذا اختلس الخطى نحو الحديقةِ
بعد أعوام الخريفِ
سيجعل الليمون أخضرَ ،
في مساكبها التي غفرتْ له شحّ القبلْ !

هل يستطيع صناعة الماضي
ورشٌ خطوطه السوداء بالحبر الجديدِ!
يبقّع الندمُ القميصَ على الأريكةِ..
ثديها ماءٌ يشعُّ
حنانها قمرٌ يخيط جراحهُ
هل يستطيع بدايةً أخرى وإخراج الحصى من بئرهِ؟
هل يستطيع تصالحاً مع ذاتهِ؟
جسدان يلتحمان، روح لا تطيق الصبر، كي تنصبَّ في ساقينِ
تقتربان.. تبتعدان.. كالغفران...
موسيقا وأشباحٌ وأقفال على الأبوابِ
شوكٌ واضحٌ يطغى على صنع العسلْ
هرعتْ إلى إخفاء حلمتها وراء القلبِ
غادر كاللصوص حبيبةً علنيّةً
وبكى كما لم يبك من قبلُ: الحكايةَ والأملْ....

1994

* * *

رسالة

يا صديقي المجنّح بالغيمِ والغيبِ واللحظاتِ الجميلةِ
قلبي فَرَاشك وهو يطير إلى جبل في صحارى الورقْ
ويداي صخورك وهي تسيل مع النار والعطر
كي تسند العالم المتصدعَ
روحي جرارك وهي تصب خمور الأرقْ
الكلام الذي فاض كالقمح فوق يديكَ
وماس الغياب المخبأ في شفتيكَ
يسيلان حُسْناً ليوسفَ حزنكَ
حين يقوم من البئرِ
كم أشتهي أن أنامْ!
مثلك، الهمُّ، غطّى حليبي بجمر الفطامْ

ليتنا نتعلم عشق الغريبات مثل الحصان
ونضح الكآبات مثل الأفاعي
ونقْرَ الحروف، ونقلَ الرسائل مثل الحمامْ
ليتنا يا صديقي ننامْ
على جسد امرأةٍ دون أن ننزف الحبر فوق تعرّق فلتها
دون أن نتعرّق كالجمر فوق وريقات دمعتها
دون أن نتعلم معنى الهيامْ
ليتنا يا صديقي نرى ذاتنا في مرايا النعاسِ
التي غالباً ما تخبأ فضتها في أساور هذا الكلام.!

1999

***

مهارات جسد شرقي

1

كانت تنام بنصف حاجتها إلى الصلواتِ
فلأكمل إذاً، نصف الدعاءْ:
يا ربّ وسعْ نهر ساقيها
ليدخل (زورقي السكران)[1] بستان النداءْ

2

ربتُّ فوق النهد. والوبرِ المعطَّر بالنعومةِ
آه ما أحلى التصاقي بالغزالةْ

---

[1] رامبو

عرقٌ على الأعراق مكتمل اللظى
والوجد فوق لسانيَ المحروق لا ينوي الإطالةْ

3

الصّبر.. يا جسدي السريع ، بأي ذنبٍ
قد نعود بلا زبيبْ
الصّبر... حتى ينضج العنبُ الجديدُ بصوتنا
فنعصّر الحلماتِ بالهمساتِ في أذن الحبيبْ

4

شفتاكِ ترتجفان... أسناني سفرجلْ
كم أشتهي الإيغال فيك كأيِّ صيادٍ
بنّشابين من ولهٍ
لأسحب خوفك العالي وأُقتلْ

5

طار السنونو من ثيابكِ حين أيقظتُ العُرى
لا تمسكيه دعيه يذهب للعبادةْ
سيعود والأزرار مقفلة الرؤى
ليخيط فوق الجلد أسرار الولادةْ

6

مطري غريبٌ مالح مثل الندامةْ
هل ذقتِ قَبْلُ سحابةَ الشعراءِ؟
إنْ أحسنتِ شقَّ الروح بالسكينِ
قد يحلو النزول إلى القيامةْ!

7

من ساحة الألعاب في القدمين
حتى مهرجان العيد في الساقينِ

شاهدتُ الخيول تمد ألسنةً صغيرةْ
أأصير قطاً كي ألاحق ذيلها؟
تباً لجنِّ (الأربعين) فإنها قططٌ كثيرةْ!

8

ما زلتُ منذ الأمس أصنع قالب الحلوى
من التفاح والقرفةْ
سأضيء شمعاً فوقه، والياسمينَ أضيفهُ
وأظلُّ أطرق بابها الجسديَ. أين سنصنع الغرفةْ؟

9

وجع الحكاية أنها، لا تنتهي مثل الجسدْ
فإذا تزوجتُ الحكاية ثم بدلتُ المتونَ
وفي الحواشي صرت أنسخ جسمها
هل تستطيع الروحُ يوما أن تلدْ؟

10

أنّثتُ كلَّ عبارة في دفتر العشق المنمّقْ
الوردَ والأنهارَ، والأقمارَ
إلا مفردات العريّ ظلتْ في السريرِ
تحيل قاموس المذكر أوكسجيناً حين أغرقْ.

11

حسناً... لأنّ مهارتي شرقية سأنام بعد تلاوة الإيقاعِ
يا بحراً خفيفاً في التضاريس العميقة جرّني نحو الرَمَلْ
فهنالك امرأة ستلعق فاعلاتن من يدي
وهنالك امرأة ستطحن بندق الأوزان في جرن العسلْ

12

ولأنني ذكرٌ مع الحيتان أسبح في محيطات تفورُ
سأطيع أسماكا تعلمني الأصولَ
وأترك السفنَ الغريقة في الظلامِ
وأطعن الحبّار في عينيه حتى لا يرى حبري (جريرُ)

13

ولأنها كالياسمين تفوح في ماء التعريّ
وغبارها الطلعيّ يسقط كالنجوم على جبيني
سوف أهرب من شقوق الحالة القصوى
بشرنقتي ، إلى حضن المعريّ.

14

كان الصبي يضمّها بأناقة العصفورِ
والفرح العظيم يرنُّ في قلبيهما مثل الجرسْ
قالت له قد نوقظ الحرّاسَ
عاد من الأعالي نحوها وضروعه تغلي بأبخرة الهوسْ

15

كان العجوز يحيطها بحمامتين من التوجعِ
تنقران القمح من حقل القميص الأصفرِ
و(الحبة الزرقاء) في يده وكأس العشق في يدها
ولما نام كالقمر المريض،
على الشباك نامتْ بانتظار الآخرِ

16

ما زلتُ مصلوباً على التفاحِ
يا عمري القصير أضئْ ذراعي بالثمارِ
كلُّ اليمامات التي جاءت لتنقذني
علتني بالحدائق والمنازل والطفولة والغبارِ

17

الكحل فوق ضمادتي
جُرحتْ يدي بالانتظار على الجبينْ
حاولتُ أن أجتاح سهل الوجه لكنَّ العواصف
أجبرتني أن أهادنَ
آه يا كحلا عميقاً... كم ضمادٍ يلزم (الشجر) المذكر،
كي تلين!

18

أحتاج شربَ القهوة الأولى ورشف الخمرة الأولى
وهزّ النخلة الأولى، وثقب الجوهر الأولْ
الشكُّ دبوسٌ بعيني، غيرتي سهمٌ يريّشهُ
فحيحُ الجمهرات وراء بابي، حين لا أفعلْ

19

لا تتركيني في الغياب أعدُّ أطباق الوليمةِ
ربما اختلطتْ عليَّ توابلُ
فأضفتُ (حَبّ) النار للجسد المُسيّجْ
غنّي قليلاً، قبّلي شفتي قليلاً، واتركيني بعدها
كي أعصر الأحلام والليمون في الماء المثلّجْ

20

جسر الضباب عليكِ موزونُ الخطى
ويليق بالأسرار تعبره إلى الوديان،
حيث فواكه الجسد المقدسْ
وأنا تعبتُ فلست أدري هل وصلتُ وعدتُ أم ما زلتُ
في ذات المكان أنقّح الجوع المكدّسْ

21

بين الشفاه تخبئين لماعة الليمون ما أشهى عصيراً ساخناً
يلج العواطف كي يقاذفها بأمواج الطلاوةْ
المقعد الشتويُّ مرتعشٌ وكفّانا عليه تنقّطان الجمرَ
هل نحتاج معجزة لنأكل ما نصنّع من حلاوةْ

22

في ذات جوعٍ عدتُ للصور القديمة ، كنت فيها ترقصينَ
وتسبحينَ وتصهرينَ اللؤلؤ المحظور أثداءً وإبطا
أشعلتُ صيفَ لفافتي ، فتزامنت فيّ الدهور ، وصرتُ
أسبحُ في مياه الكأس قربكِ ،
والبحور تفور من جسدي المغطّى

23

الأمر كان ، هواكِ ، بل كان اعترافي بالهوى
ويكون ، .... أنّي أشتهيك
كما الحمامة تشتهي طوق الولدْ
أما الذي سيكون ،
فهو تساقط الأسنان في صحن الرؤى
وغياب بصمة إصبعي عن سطح فانوس الجسدْ !

24

في المرّة الأولى تسلّق مسرعاً
درجاً إلى الجنّات، بعد رجوعهِ
جرّته من كتفيه عاصفةٌ،
فصعّد في سماءٍ ذات أبراجٍ وأنفاسٍ عظيمةْ
حين انتهى، جرّته من أذنيه. صعّدَ من جديدٍ،
عادَ يلهث. أين شمشون العظيم؟
تضاحكتْ، ومضتْ تصفّف شَعره، أو شِعره
جملاً عقيمةْ

25

كتب القصيدةَ، ثم أرسلها من الحاسوبِ
والبنتُ الصغيرة أنّقتها بالطباعة والقبلْ
صارتْ قصائده ربيعاً وافراً، لمّا التقتهُ

تكسرتْ سفنٌ عليها...
كان أعجز أن يقوم إلى مصافحة الخجلْ

26

كان الإوزُّ يقوم بالترتيب في كوخ العسلْ
كان الحمام يعدّ أغنيةً لإيقاع التزاوجِ
كلُّ شيءٍ في الطبيعة كان منتظراً
هطول القمح من أذيالها
لكنّ صرختها هوتْ فأساً على صفِّ الحجلْ!

2000

***

الدُّرَةُ الزّرقاء

ربما آن أوان النثر، فالدنيا عُجاله
والذي يأكل (بيتزا) و(بطاطا الشيبسِ)
لا يعرف معنى لنعاس الشمس في خبز النُخالة
والذي يركب مهرا معدنياً
والذي يشرب وحل الشارع العامِّ
وتلك الأمّ في البيتِ
تمصّ الماء من حبل الولاداتِ
وتطفو فوق صحن الطبخ والزيتِ
وذاك الشّاب في المرجلِ
تحت (الدش) يستقبل جنساً
وغناء وعواء وجَهاله

لن يروا نجمة بوحٍ علّقتْ فوق جبين السلحفاةْ
نحن بالشعر تماهينا مع الماردِ
فالأقوى من النار... سحاب الأغنياتْ
كم قنصنا النمر الهائجَ
كم صغنا البراكينَ
وكم من خشب الآلام شكّلنا توابيت الطغاةْ
ثم جاء الرخّ، بالصاروخ والحاسوبِ
والأشلاء فاضت، كالبلاغه
فاكتشفنا أننا فأر صغيرٌ
أكل القط دماغه
واقتنعنا أننا طفل شقيٌ،
بدل الجبن اشترى ظرف رساله
ربما كان علينا البحثَ عن غيم جديدٍ
بمقاس الجبل الصاعد من أرض العراقْ
ربما كان علينا فتح شريان على كفِّ البراقْ
ربما كان علينا..... ربما

نفتح (ايميلاً) جديداً فنرى
صورةَ معنى صالح للاقتباس الحُرِّ
ما جدوى الإطالة؟
وانتظار المَلَكِ السابع كي نحظى بتفسير العناقْ
هكذا نحن إذاً.....
قشرة موز عبرتها الشاحناتْ
وبقايا شمعدان ذاب من شمس الصلاةْ
نسرق المسك من الجرّة في بيت جرير ونزارٍ
ونحاكي صرخة الساقط من برج الإنارةْ
ثم نقلي قطعة المعنى بزيت النخلِ
حتى يثقل الشكلُ عصافير العبارةْ
يا صديقي.....
كم خبرنا متعة الإيغال في التأويلِ
والبحثِ عن الينبوعِ
(جلجامش) قد مات، وقيل انصهرت عيناه بالرؤيا
وقيل افترضته صحف اليوم وكيلا للعقاراتِ

فهل نبقى خجولين ، ولا نسكن في إحدى الشققْ
ربما في شارع (النزهة) أو في (الوعرِ)
أو تحت قباب الوجدِ
مضطرون (للسرفيس) والتنفيس عن أبخرة القهرِ
بشرب البيرة السوداء في مقهى
حذاء الشارع الأول في باريسَ
كم نحلم ، أن نسمع صوت البائع الجوال في بغدادَ
كم نحلم أن نرسل (فاكسا) (لرويدا) !
وسكاكين (لهيفا) !
برتقالاً لسجين الفكرِ
ماءً لوزير الصمغِ
كم نحلم.. كم نحسن تحبير الورقْ
يا صديقي مثلما قلتَ
علينا فتح شباك القصيدةْ
لهبوبات جديدهْ
تمسح الزخرف عن وجه التفاعيلِ
ولا تخجل من نشر غسيل النثر في الأعماقِ

كي يحظى ببعض الحطب الشعريّ
أو نعكس ريح الروحِ
حتى يسحب الحلاق شَعر الشِّعر من رأس الجريده!
يا صديقي
ربما صار امتزاج النثر بالشعر ضرورات جديده
غير أنّ الخلطة استعصت علينا
ودعاء الجدة الصالح لم ينفعْ
ووصل السلك بالبرج الحداثيّ
وجر الشِّعر بالثيران للساحات لم ينفعْ
فهل نحرق قاموس الفراهيدي (بالكاز) إذا انقطع التيارُ
أم نترك للأطفال والجرذان أكياس المؤونة؟
أترى ندفع بالماغوط نحو الملعب الشعريّ
أم نتركه يكسر أعواد السكينه؟
أترى نقدر أن نرفع بحرا بعمود النثرِ
كي يلتقط البثّ جهازُ الخليويْ
أم ترى نذكر موسى وعصاهُ
كلما أعجزنا نظم النشيد (النوويْ)

تلك غاياتٌ بعيده...!
وأنا أؤمن أن الشعرَ نايٌ في فم الشاعرِ
والشاعر في القصة يمشي
باتجاه النهر والفئران خلفهْ
غير أن الواقع البيئيّ مكسورٌ
ولا يوجد من ينظرُ أو يشتمّ أو يسمعُ كي يصلح أنفهْ!
يا صديقي....
إنَّ عزف الساحر الماهرِ
لا يسمع إلا جمهرات الشعراءْ
ودم الشاعر إن سال على المنبرِ
لن يصبغ إلا طائراً
هبّ من الأحداق كي ينقر حبَّ السأم النافر في وجه الهواءْ!!

2001

***

صور وصفية

(1)[1]

لا تزال (الحكايا) على رأسه قبعهْ
لا تزال المرايا القديمة في (حمصه) ناصعهْ
يتحسّس زرَّ الصدى
تحت معطف (عبد السلام)[2] و(وصفي)[3] إلى
آخر الأنبياء.
ويغمس في دورق الحِبرِ خيطانه البارعهْ

---

[1] الشاعر ممدوح السكاف.

[2] الشاعر الراحل عبد السلام عيون السود.

[3] الشاعر الراحل وصفي قرنفلي.

(2)

معلّمةٌ من كتاب الأساطير تعرف ميقات كل الفصولْ
مسيّجة القلب بالحبّ، غير مواتية للذبولْ
تحلّق بين التلاميذ، ترفعهم للفضاء، وبعد المطرْ
تنحني كي تسيّج أحداقهم بالشجرْ
لا يزال بها عنصرٌ من تراب الأمومةِ
لا تتحوّل في زبد أو شررْ

(3) [1]

نام أو مات، لا فرقَ...
جرّتهُ برحيق السماء على المائدةْ
نمتُ أو متُّ، لا فرقَ..
أشرب منها، وأكتب أرجوزةً في مديح الرثاءْ
غبتُ أم عدتُ...

---

[1] عبد الباسط والد الشاعر

ما زلت أجهل كيف تمكّن تأجيل موتهِ
كيما يراني أحلق بالشِّعرِ...
حبري تعفّن في رئتيْ
مثل لصّ الجوامع قبلت جبهته الباردةْ
وانتظرتُ البكاءْ

(4) [1]

يا صغيراً على (الاسم) و(البندق) الصعبِ
إنَّ دمَيَ ليس طاحونة صالحهْ
وحدك الآن في رحلة الاسمِ
مكتنزاً بالمعاني، وإن شئت مقتنعاً بالوصايا
وإن شئتَ قطّرْ سلالتك المالحهْ!
جدكُ المترصدُ وقع خطاك على القبرِ
لا يتمنى سوى أن تغطى يديك من البردِ
حين تبسمل للفاتحهْ

---

[1] عبد الباسط طفل الشاعر

(5)

جرّبَ الشعر، حتى تعرّق نهراً من الكلماتْ
أنثوية جمرته وذكورة موقده
حجرةٌ لاحتراق اللغاتْ
هو أمُّ العذابات، تحت نقاب القصيدةِ
يثقب أثداءه، لتسيل الحياةْ
هكذا لا يُسمّى..
ومن غير أن يتعلّمَ أو يتوضّأ أو يتصنّفَ
صنّعَ بوصلةً لجنوب الجهاتْ

(6)

الغزالةُ ذات الملاك المجنّحْ
اختفتْ في ضباب الشقاوةِ
لا تمطري يا سماء عليها
"تعلّمتُ منها المناغاةَ"، قالت غيومٌ
تمنّيتُ، حتى تصير القصيدة أفصحْ

(7)

لديه على كتفيه ملاكٌ
يشير إلى الجهة الخامسةْ
وما زال يمضي
ليوصل سلّة ليلى إلى كوخ جدتها
كم يشذّب لحيتهُ
بمقصٍّ له شفرة الحاسة السادسةْ
وما زال يمضي..
قريباً من الشرّ
تحرسه النرجسةْ

(8)

لا يزال يخبئ ضحكته للجميلاتِ
ينتظر العطر، كي يتدفق نهراً
على الشجر الأنثويِّ المسيّجْ
بالحصافة يكسر أسوارهنّ

وبالنكتة البكر يغمس إصبعهُ
ويوسّع فينا وفيهنّ حقل البنفسجْ
(حمص) فيه ، اختزال سريعَ البريدِ
على الحاجبين ترجرجْ

(9)

في يديها البحيراتُ
في شفتيها السّماءُ
تعرّف عن كونها بالزراعةِ
مثل نساء الأساطير والفلسفةْ
هي أيضاً تجيد اصطياد (الفهود)
وطحن البهارات ، عصر البواطنِ
تفسير أشعار (درويش)[1]
والرقص حول دمى المعرفهْ

---

[1] محمود درويش.

اذكروها إذا هبّ ريحٌ قويٌّ
كعادتها تستطيع بتيمةِ (فيروز)
زرع البساتين في روحنا الخائفةْ

(10) [1]

ظله في الكتابْ
رأسه في السحابْ
يستطيع اقتناص الغزالة في عدوها
ليعلمها سرّ صنع الجمالْ
ولا يتوانى عن الزحف خلف النمال لأعلى الهضابْ
هو أجمل منه، ومني ومنكم كثيراً
لأنه مازال مثل الرياضيّ
يحسب بالمليمتر الحزين امتداد سطوح الخرابْ
لأنه مازال يرهن أعماقه عند صائغ أحلامهِ
ليفضّض لون الغرابْ

---

[1] الناقد حنّا عبود.

(11)

بالسنابل ذات اللهبْ
والمحبة والشمعدان الطويلِ
وظلِّ الصلاة تجرّب ثقب الغضبْ
آنَ أنْ تستريح كأمٍّ عجوز مع الموقد الشتويّ
ولكنها لا تزال تفتش عن جسد آخرٍ
يستطيع تسلق أعلى الجبال وقطف التعبْ
ياسمين تفردها ، قابل للنمو على يدنا
ما علينا سوى أن نحاول فكّ رموز النبيذِ
لكي نستطيع قطاف العنبْ

(12)

هي من وسّع القلب بالعشقِ
حتى تشظى ، وغطى الجسدْ
لم تجدني يتيماً ، ولكنها
بشباك الأمومة جرت إليّ الأبدْ

يطلع العشب من كفها
والحدائق تمشي إلى دارها
وتكاد بإصبعها أن ترجح ثقل الوجودْ
والذي تدّعي ليس لفظاً صحيحاً لمصحف أيامنا
هو مثل النبوةِ
يفتح أذن الخلودْ

(13)

أن تسير مع النهر يعني
تصير ضفافاً
وأن تعشق الشمس يعني :
تسيّج روحك بالضوءِ
حتى تصير الضفاف اختلافا
وأنتَ كما زلتَ ألف صديقٍ
وألفَ احتمال لبئرٍ جديد يعضّ الجفافا

2002

حمص 1950

ـ القاعة[1] :

وزن (القاعة) وزن العتمةِ
ميزاني لا يخطئ
لكنَّ القاعة، وهي تحنّ على كتب الجدّ الرطبهْ
وعلى الجدران الحجرية والأرض المكتئبهْ
تصبح أثقل بالضوء القادمِ
الشمس التمّوزيّة تدخل من كوّتها
كوّتها في أعلى الحائط قرب السقفِ
عيوني قرب السقفِ

---

[1] القاعة : دلالة مكان في مدينة حمص القديمة.

وأفراخ حمامٍ
وبقايا جلد الأفعى قرب السقفِ
وثمة قنطرةٌ تكشفها روح محتجبهْ
الضوء عظيم في القاعةِ
القاعة تصبح أثقلَ
وزن القاعة وزن الضوء الصامتِ
ميزاني لا يخطئ
ميزاني يطفو، ذاكرتي تبرقُ
القاعة تسقطُ
والكنز المطمور الموعود به منذ حكايا النوم تلاشى
لم يبق سوى صوت الجدة، وهو ينادي:
يا عبد الباسط، قم كي تذهب (للكُتّابْ)

ـ غرفة السَّمْن[1] :

عجباً، فالمشهد يبدو جدّ معاصرْ
جدّي وطبيبي متّفقان على تحذيري من تلك الغرفةِ:
لا تدخلها كيلا تكسر ساقكَ
لا تأكل منها كيلا تنهك قلبكَ
كنتُ مطيعاً، لم أشربْ من ساقية السمن البلديّ
ولم أزعجْ فئراناً تسعى في تلك الأنحاءْ
ذاكرتي انزلقتْ
ويدي كسرت حين تعثرت بإبريق الماءْ
وقلبي صار مريضاً بشحوم زائدة صفراءْ
وإذاً يبدو الأمر غريباً!
ماذا لو قررتُ دخول الغرفةِ؟
ماذا لو بقّعتُ ثيابي بالسمن الذهبيِّ؟
وماذا لو أتخمتُ بأكل لفافات السكر والسمنِ؟

---

[1] غرفة السمن: دلالة مكان في مدينة حمص القديمة.

لعلّي كنت اليوم معافى مثل الأشجار الخضراءْ
كم أتشهّى أن أغمس رأسي في العنبرِ
أن آكل سمناً عطرياً
أن أضحك، أن تصرخ بي أمي
أن أبكي، أن أهرب
أن أغمز بنت الجيرانِ
وأن أتقافز كالقطّ إلى كلِّ فناءْ..
عجباً، فالمشهد يبدو جدّ مضاءْ!

ـ **الجبّ**[1] :

لائحة المفقودات تطولْ :
قربة ماء، حزمة ثوم، ملعقة وحذاءٌ
كوفيّة عمّي، مسرجةٌ، جندٌ وقطيع خيولْ..
الماء البارد في أعماق (الجبّ) يناديني كي أنزلَ

---

[1] الجب: دلالة مكان في مدينة حمص القديمة.

لن أنزلَ، أخشى أن يأكلني الوحشُ
وأن أصبح مفقوداً آخر
والجب يحنّ كعادته قبل الفجر، يحنّ
وأكاد أجنّ
وأنا أسمع ما كان الجبّ يقولْ:
زرْني كي تحظى بكنوزي
في أعماقي مصباح علاء الدين السحريّ، فلا تتردّدْ
مملكتي أوسع من كلّ بساتين الدنيا
أشجاري تحمل حلوى ودمى
ـ "لا تنزلْ".
تصرخ بي أمي
مرعوباً أجلس قرب الجبّ،
وأشرب من كأس الماء الباردِ
مرعوباً ألمح نفسي في قعر الكأس
مع المفقودات الأخرى
أشرب كلّ الجبّ، وأمضي نحو العمر القادمِ
في روحي شغفٌ أن أنزل للعمق المجهولْ

ـ العقرب[1] :

كان العقرب كالقلعةِ
محمولاً فوق بغال مسحورهْ
قرأ العقربُ في كتب التاريخ طويلاً
طوّفَ من أعلى الكرة الأرضية حتى أدناها
وأخيراً قرّ بحمص المهجورهْ
راويتي تهمس لي :
ـ "هل تعرف أنّ (الرصد) مقامٌ ضدَّ العقربِ ؟".
أسأل عن تاريخ القصةِ
تكشف عن كفّيها ، فأرى آثار اللدغة محفورهْ
لم أفهم شيئاً ! راويتي امرأةٌ
في العقد السادس تسكن في (الورشةِ)[2]
قرب الجامع ذي النافذة المكسورهْ

---

(1) العقرب والرصد : يحمي رصد قديم مدينة حمص من العقارب. الواقع الطبيعي يؤكد ذلك.

(2) الورشة : من أحياء حمص القديمة.

راويتي تهزأ.. تهربُ
يلحقنا العقرب حتى أقصى الشرقِ
تجاهلني، وابتلع الروايةِ المذعورهْ
اذهبْ حرّاً وسليماً، قالَ
لتكتب عن حمص المرصودة ضدي
قلت: الشاعر لا يروي، بل يبدعُ
قال: إذاً ابحثْ لي عن راويةٍ أخرى
أقتلُها، كي تكتمل الصورهْ
لم أفهم شيئاً إلا بعد سنينٍ
حين درست الحكمة في بغداد المقهورهْ!

ـ **العِلِيَّة**[1]:

في (العليّة) موتٌ
أقسمُ شاهدت ملاك الموت الأسودِ
ملتفاً بملاءات بيضاءْ

---

[1] العلية: دلالة مكان في مدينة حمص القديمة.

تبدو العليّة شاهقةً بين الغيمِ
ومنها يتساقط نوح ككرات الماءْ
ما الخطب إذاً؟
أمي تطبخ..
جدي يغفو..
وأخي منهمكٌ في إصلاح الطائرة الورقيةِ
من مات إذاً؟
شيخ الجامع أذّن قبل قليل
لم أسمع اسم المتوفّى
لكنّي شاهدت العلية، أقسم، وهي تحلق نحو
الملكوت الأعلى
عائلتي قربي مجتمعهْ
والدهر ينادي بالأصوات المرتفعهْ
من مات إذاً؟
أشخص نحو الأعلى
أرغب أن أتسلقها وحدي

ورويداً ينزل من باب العليةِ
طفلٌ مَيْتٌ بعيون خضراءْ
الطفل أنا..
لكنّي مضطرٌّ أن أعطي تفسيراً آخر
حتى أشهد عرس أبي!

ـ البستان:

شجر الجوز تشقق من رميات الأطفال الحجريهْ
كم كانت رمياتي تخطئ..
كم كنت أفكّر بالبنت الحلوة فوزيهْ..!
والبنت الحلوة كانت قربي، تطعمني جوزاً وحرائقْ
ركضتْ، فركضتُ
ـ إلى أين؟
ـ إلى أمي..
ـ لا تتبعني، ممنوع أن تجلس بين النسوةِ
ـ لكني عاشقْ!

ضحكتْ مثل الغيمةِ
وانصهرتْ في نهر ملاءات أسودَ
هل نمتُ كثيراً؟
أيقظني قمر يركضُ
ثمة معجزة تحصلُ
فالبستان تجمع حول النسوةِ
كلُّ الأشجار وكلُّ الأنهار تداعتْ،
كي تصنع جناتٍ
من شرفتها الأعلى تبدو فوزيهْ
في الطرف الآخر ثمة صحراءْ:
طاولة النرد، بقايا (الأركيلة)، (بزرٌ)،
وبطونٌ كرْشاء بدون غطاء لائقْ
ثمة معجزة تحصلُ..
الجوز الأخضر في كفي
يتحوّل كي يصبح حبراً
والبنت الحلوة تصغرُ، تصغرُ،

حتى تدخل في جسدي
أمّي تفحصني كلّ مساء
وأبي يرمقني باستغراب كلَّ صباح،
لمَ لمْ أصبح بعدُ مراهق!

ـ الحلاق والديك:

ـ هل عاد إلينا هذا العام؟
ـ أشكّ، لأن الأمطار احتبستْ
وجرار العرق البلدي تفور بأصوات الكرمهْ
قال الحلاّق: لعله ذاب كأهل الشعر بأعماق الكلمهْ
هل تعرف من أقصُد؟
أذكره، يصنع من طين العاصيِّ تماثيل المرأةِ
ينقعها بالخمرة، يشويها بالشوقِ
ويلقي في أذنيها أشعار العشق فتحيا..
تمشي من أقصى (الميماس)[1] إلى أعلى القلعةِ[2]

---

[1] الميماس: منطقة قديمة، معاصرة في حمص على ضفاف نهر العاصي.

[2] القلعة: قلعة المدينة الأثرية.

ثم تطير محمّلة بالدمع الأحمرِ
ــ جلبابك يبدو أحمر، قد يأتي هذا العام إذاً؟
ــ لن يأتي، ثقْ بي، يا شاعرْ
هل تعرف (بستان الديوان)[1] ؟
هل تعرف بيتنا منسوباً لملوك الجانْ؟
بيتاً طينياً تحرسه أشجار التينْ
تعوّذْ، وادخلْ، واقصفْ، وامرحْ، حتى يأتي
(الديك) على شكل ملاكْ
لم تفهمني، إني لا أبحث عن شاعرْ
أبحث عن (ورد) أخرى، أعشقها، أقتلها، أرثيها..
ــ فإذاً خذْ هذا الورق السحريّ وهذا الحبر النادرْ
واصعدْ نحو الباطن، وارسم صورة (وردك) دون
إضافات المهنةِ
واتركْ ديك الجنِّ هناكْ.

2004

---

(1) بستان الديوان: منطقة قديمة، معاصرة في حمص. على ما يروى كان ديك الجن يسكن فيها.

حجر الفلاسفة

اسكبْ قليلاً من دمكْ
وأضف له حجرَ الفلاسفة المعاصرَ
ربما تحتاج بعض العطرِ
أو بعض الكآبةِ
أخبرِ امرأة الغياب بأن تعيرك إصبعاً
حرّكْ به هذا المزيج وخضّهُ
سيفور بركانٌ ويخرج من يدكْ
ها أنت وحدكَ بعد إخراج المعاني
من دوارقها العجيبةِ
تكتب البحثَ الجماليَّ الجديدْ
ها أنت تشرب شايك، المطرَ الصناعيَّ، الجليدْ

هل تستطيع عناق طفلك في المساءِ
وقذفه نحو النجومِ
لكي يراك ، كما يرى النملَ الصغيرْ!
هل تستطيع غوايةَ التاريخِ
والتفكيرَ في حلّ حضاري لخلوة عاشقين على السريرْ
هل تستطيع تحمل (الأوسكار) والألغامِ
ثمّ تحملَ النزوات في كتب القواعدْ
فاصمتْ على البركانِ
دعه ينام في صمت الجرائدْ
واخرجْ إلى سوق المدينة دون أكياس الجدلْ
سترى شفاهً صالحاتٍ للقبلْ
وترى شعاع الخلق يدخل في فمكْ
ها أنت وحدك لست مضطراً إلى قطع الصحارى
أو إلى ذبح الجملْ
ها أنت وحدكَ فوق كلّ الكون تبصر من دمكْ

2004

***

أبو العلاء المعري ـ ذاكرات

1 ــ ذاكرة طفولية:

في حجرتي مَلَكٌ يسامرني طويلاً
ماذا حفظتَ اليوم من سورٍ؟
وهل أضناك شيخك بالتلاوةِ؟
هل رأيتَ حمامةً خضراءَ فوق السطحِ؟
هل أحببتَ ما طبخته أمكَ من عشاء اللحمِ؟
كان يريدني أن أغمض العينين، كي أحصي النجومَ
وما عليها من نوافذَ
كنتُ أضحك من سذاجتهِ
أغافله، أداعب باطن القدمين، أقرص خدّهُ

وأنام من تعبي قليلاً
مَلَكي جميلٌ مثل أمي، صارمٌ كأبي
حزينٌ لا يحبّ اللهو، يبكي كلما آذيت قطّاً
مرةً أحببتُ أن أرتاح من همساتهِ
فركضتُ حتى آخر الدنيا
وجدتُ سحابةً، فصعدتُ..
تحتي كانت الأرض الصغيرةُ
لم أخفْ، وجلست آكل فستقاً، وأنا أمتع ناظري
بالغيم والأشجارِ
والشطآن والأطفال والكتب الكثيرة والدمى
ثم انتبهتُ إليه قربي جالساً بعباءة بيضاءَ
قال مطمْئناً: سنظلُّ أسبوعاً هنا..
فاملأْ سلالك، يا صغيري، ابتهجْ
لم أكترثْ لكلامه، راقبت نجماً ساقطاً
أمسكتُ شمساً تختلجْ
أربكتُ بستاناً بأحجاري، وغطّيت القباب بفستقي
واصطدت ألوان الطبيعة كلها، خبأتها في جوربي

كانت أمامي خيمةٌ فدخلتها
شاهدت أطفالاً ، شيوخاً ، ساحةَ الحرب الأخيرةِ
مهرجاناً للملوك ، صناعةَ الخمر المعتق ، دارةَ الفقهاءِ
تطريزَ النساء ، مدينةَ الأقزام ، أصناف التمورِ
مثالبَ الشعراء ، حكّ الناي بالأعراسِ
والرقصَ الوجوديَّ الغريبْ..
شاهدتُ حشدَ عوالم مسحورةٍ
فوضعتها في جوربي الثاني المعبأ بالزبيبْ
هل كان حلماً ما رأيتُ؟
يقول لي ملكي ، بأني أستطيع النوم
فوق الغيمة البيضاءِ
قلتُ أريد أمي
كوّر الكفّين جاء بموقدٍ
قال : انتبهْ للنار كيف تجنّ ،
قلتُ : يعيقني وخز اللهيبْ
قال : انتبهْ للضوء كيف يحنّ ،

قلتُ : يحيطني خفق الفرَاشِ
بكى كما لم يبك من قبل ، اعتليت سحابةً أخرى
فلم أبصرْ سوى عنق الغراب يلفّ ذاتي بالسوادْ
وسمعت همهمةً عن الجُدَريّ
خبأت الجوارب جيداً تحت الوسادةِ
ثم عدت إلى السحابة حاملاً بعض المدادْ

2 ــ ذاكرة شبابية:

بين افتتاني بالقصيدة والتوحدِ شارعُ الأفكارِ
يعبره الرعاة بحكمة النص القديمِ
أنا (جديد ــ قديم) كلّ نصوص أسلافي ، ولكنّي
غريب عن مزامير الرعاة المسرعينْ
أحتاج أن أمشي قليلاً ، كلما رحلوا
هنا فوق الجدار أصابع امرأةٍ
أحسّ بطعم نعناعٍ على شفتي
فأسرع طائراً للنبع ، أغسل ما تبقى
ما تبقى.. حكمتي الخضراء تبصر في الأنوثةِ

معبراً للموت ، لا..
أنا لستُ معتاداً على هذا اليقينْ
شكّي يعلّمني الحراثة قبل زرع الياسمينْ
شكّي يحاورني.. اقتربْ منها قليلاً
ناقش الأجراس في الكفيّنِ
والأعراس في الشفتينِ
حاولْ أن تلامسها ، لتكشف معدن الخلق الثمينِ
لا لستُ مضطراً إلى حسم المجازِ
سأحمل الأفكار مثل حمامة مفقودة العينينِ
ثمّ أعود بالقش الجديد إلى كهوفي
القصيدةُ أجمل الحراس للنبع الطليقْ
وأنا وراء قصيدتي أمشي بعكّاز ابتكاري للطريقْ

3 ــ ذاكرة أربعينية:

جـــاء الـــزمان علـــى خَـــيْلٍ مجـــنّحةٍ
وكـنت في وحدتـي أبكـي علـى الخـيلِ
رمـى حـصاةً علـى الـشباك فانكـسرتْ
حولـي الـدوارق في شـوقٍ إلى الـسيل
أسـرعتُ أدخلـهُ ، فاستوحـشتْ قدمـي
ورحـت أصـرخ في طاحـونة اللـيل
ثـم اختـصرتُ مـوازيني الـتي ثقلـتْ
مـن هـاجس وضـعته الـروح في الكـيلِ

***

خذنـي بعـيداً إلى الغابـات دع شـغفي
يلامـس الـشمس في أحـداق زيـتونِ
دع شَعر رأسـي يحيّـي الـريح. دعـه سـدىً
دون احـــتمال لتفـــسير وتخمـــين

دعـني علـى المـاء أمـشي دون معجـزةٍ
أضـنتْ جذوعـي مـساءات الحـساسين
كـم أشـتهي سـفراً! آهٍ علـى كـبدي
لـو تحسن القفـز مـن روحـي إلى طـيني

***

أخـي الـزمان صـديقي زوج أغنـيتي
يحـاور الحـيوان الحـرّ في جـسدي
ولا يـزال عـصيّاً دونـه طـرقٌ
ولا أزال علـيها مـشرعَ الـوتد
كأنـه نـصف بحـر مظلـم أبـداً
كـأنني نـصف شمـس خـارج الأبـد
كـلّ اليراعـات لا تكفـي لنافذتـي
مـا أكثـر الحـرس الروحـيّ في زبـدي

***

أنـــا العمـــيق كعـــين الله ، لـــي درجٌ

يفـــضي إلى درجٍ ، يفـــضي إلى درجٍ

تحتي الممالك ، فوقي السرّ ، حولي فمي

شـــرانقٌ مـــن رؤىً ضـــوئيةُ المُهـــج

معلّمـــي الفيلـــسوف الـــصلب يـــتقن بـــي

وصـف العصا لـشعوب السّكْرِ والعرج

ولا أبالـــــي إذا أُغـــــرقت في لجـــــبٍ

تطفـو (رسـائل غفرانـي) علـى اللجـج !

***

4 ــ ذاكرة كهولية:

"جسدي خرقة تخاط إلى الأرض، فيا سيد العوالم، خِطني"[1]

جسدي يخاط إلى الترابِ
وكلّ يوم أسمع الإبر العجولة، وهي تعملْ
ماذا سأكتب كلما أحسست وخزاً في جبيني؟
تضحك الأوراق في موتى البذور،
لكي يصير النخل أجملْ
ماذا سأكتب كلما أحسست وخزاً في عيوني؟
في العماء البكر تختلط العناصر، لا أرى شيئاً
ولكنّي بكيميائي أحوّلها إلى لغة ترتّلْ
ماذا سأكتب كلما أحسستُ وخزاً قرب صدري؟
يعرف القلب اتجاه آخراً يمشي إليهِ

---

[1] أبو العلاء المعري.

فضمّني ، يا موت ، حتى تصبح الطرقات أطولْ
ماذا سأكتب كلما أحسست وخزاً تحت عكّازي؟
أنا المشحون بالبرق العظيم ، سعادتي قبر عميقٌ
فيه أسمع ما تقول الكائناتُ
وفيه أصهر كل رؤيا بالضياءِ
وفيه أبصر من جديدٍ
ليتني طفلٌ ، لأحيا من جديدٍ
كنت أختار البداية ذاتها ، لأصير أكملْ
كنت اقتربت من النهاية ذاتها :
جسداً يعود إلى التراب حديقةً
أشجارها تمشي مع التاريخ إبطاً تحت إبطٍ
أيها الموت السريع ، بصكّ غفراني تمهلْ
أحتاج بعض الحبر والإطراءِ
خمس دقائق أخرى
رغيفاً يابساً ، ملحاً وماءً
خمس تيناتٍ ، وخمس قصائد ليستْ تؤجلْ!

2005

ميثيولوجيا الأيام

السوق المُقبّى[1] :

في حمص، أقصد داخل السوق المُقبَّى
تملأ الأرواح أكياس القطنْ...
أدنو إليها أسمع امرأةً تناديني :
تعال.... لكي تحررني
جننتُ بقلعة الأشباحِ
والتلويح للسيّاح من تحت الكفنْ
سجني انتظاركَ
كلّ شيءٍ مزعجٌ..
القطة السّوداء تشرب من إنائي

---

[1] السوق المقبى : سوق قديم ما يزال عامراً.

جارتي العمياء تهزأ من ضيائي
والجنود المزعجون يحملقونَ
ويدفعون عشاءهم ثمناً للمس أصابعي
من أنتِ؟ أسألها... وأبحث عن ملامحها...
فأسمع صوتها متوسلاً :
خذني إليك...
هل أربك الأرواحَ؟ قاربتُ الخروج فلم أجدْ
إلا امتداد السوق آلافاً من الأميالِ
أنفاقاً إلى الأنفاقِ
غابات إلى الغاباتِ
ثمَّ حداءها ، خذني إليك...
في كلّ عامٍ حين أذهب كي أبيع
وسادة الصوف القديمةْ...
وتراثَ أمي من كآبتها... بأوعية النحاسِ
أرى به الأكياس تنبضُ...
أسمع الصوت المقبّى بالصدى
خذني إليك...
فأشتري الحنّاء للرؤيا اليتيمةْ

خميس الحلاوة[1]

هذا أنا، في زحمة الألوان في يوم الخميسْ
عيد الحلاوة، والتصاق السّكر المطبوخ بالأفواهِ
تعسيل المرارة في حلوق النّاسِ
تفعيل الطّفولة في الصـ ـورِ
وشقّ نايات بأعماق النفوس
هذا أنا، أعطي النقودَ (لراتب المجنون)[2]
كي يحظى بيوميّات شاعرْ
❖لمَ تشتري؟ طعم الطحينة مالحٌ جداً،
لأنّ التاجر البلديّ غشّ السمسمَ الوطنيَّ
ــ أعرفُ (لم أصدقْ!)، خذْ تذوّقْ قطعةً أخرى

---

[1] خميس الحلاوة: عيد شعبي من أعياد الربيع القديمة في مدينة حمص، يُحتفل به إلى الآن.

[2] راتب المجنون: شخصية شعبية واقعية لها حضورها في الذاكرة.

لتصبحِ سكراً فوق الدفاترْ
راقبتُ راتبَ يبصق الحلوى ويشتمُ :
❖طعمها كالآسِ
ــ أعرف ، إنه طقس المدينةِ
كلّ عيدٍ يذهب العشاق للأمواتِ
يحتفلون بالقرآن والحلوى
ألم تحصلْ على حصص الأسدْ؟
❖أنا لا أحبُّ زيارة الأحياءِ
أخشى أن أشاغلهم عن النوم العميقِ!
مضى وغاب... وكان عيد حلاوتي مرّاً
لأنّ ثقافة الشعبيِّ قد فشلتْ
بجعل العيد طقساً للأبدْ..

زقاق الخمارة[1]

أتنفسُ الصعداء، حين سكرتُ لم أشتمْ صديقي..!
ــ كم شربتَ من الكؤوسْ؟
ألفاً وأكثرَ، من حمام السطحِ
أو ألفاً وأكثر من ثمار التين في بيت العروسْ!
ــ أنت العريس فلا تهادن زوجةً
سقطتْ عليك كجرّة الفخّارِ
ــ عد بي للزقاق لأشرب الكأس الأخيرةَ
ــ ثم ماذا، ثم ماذا أيها الروحيُّ، هل تكفيك سيّدةٌ
لتنجز ما تكدس من مشاريع الكتابة والقراءة
والتجارةِ والهروب من الحروبْ؟

---

(1) زقاق الخمارة: من الأحياء القديمة المؤسسة للذاكرة الحمصية المعاصرة. لم يعد موجوداً. قامت مكانه منشآت مدينة حديثة.

ـ عد بي لنشرب في الزقاقِ،
ونحسم الأمر: الثباتُ أم الهروبْ؟
ـ متّنْ سدودكَ، نحن جدّ معاصرين
وقد سكرنا خلسة في غرفتي
أما الزقاق فقد تداعى تحت فلسفة الفؤوسْ
فتحتْ شراييني المدينةَ، سرت نحو السوقِ
أشعر بانجذاب هائلٍ نحو الزقاقِ. دخلتهُ
وجلستُ أشرب من خمور الكونِ
أحصي ما تبرعم من رموزٍ أو تساقط من رؤوسْ
وبقيت وحدي...
ثمّ ماذا، ثم ماذا، أيها الروحيُّ
هل تكفيكَ كأسٌ كي ترى ما لا يُرى؟
ادفعْ لنادلك العجوز حسابه،
وارجعْ إلى وضع الخططْ:
إصدار ديوانٍ جديدٍ، اقتحام البنك، تسديد الديونِ
قراءة السيّاب، جمع الأصدقاءِ

حبوب منع الحمل، أم طفل سريع آخرٌ مثل القططْ!
أصغي إلى قلب الطريق يحنّ للماضي وأحلمُ
ثم أصغي، ثم أكتبُ
ثم يوقظني رنين (الخليويِّ):
أنا الزقاق، أنا الفراق، أنا العناقُ
أنا الفواصل بين قائمة المعاني
فاجعل السطر الأخير بلا نقطْ

أيام

الأربعاءُ[1] ، صداقة الحمصيِّ والجمل الكسيحْ
يعلو بعيداً في السماء ، إلى بلاد الجَدِّ والمعنى الفصيحْ
كوميديا.... كوميديا...
يوم العماء الحرِّ ، قبل الخلقِ
يوم اللهو والعبث البدائيِّ الصريحْ
ويفور دمعٌ في المساءِ ، يكون خلْقٌ صارم القسمات
نذهب في الحياة ، فثمّ أسبوعٌ طويلٌ كي نؤلف نكتةً
وننام في قفص مريحْ!
كوميديا... كوميديا... فرحاً (بأعياد الربيعْ)[2]
الأربعاء ، صداقتي والفأرُ

---

(1) الأربعاء: يوم له خصوصية جميلة، يشتهر به الحمامصة، بتقبلهم للسخرية.

(2) أعياد الربيع: مثل (خميس الحلاوة، خميس المشايخ، خميس النبات، خميس القطط) وهي أعياد المدينة القديمة، ولا يزال بعضها فعّالاً.

سرد قصائدي جبناً، وهرولتي إلى سور المدينةِ
وانتظاري قطةً في فروها يوم الثلاثاء الرضيعْ
الأربعاء، هوايتي في البحث عن بئرٍ تضيء بقعره الدمعه
وإذا فشلتُ أقول حظي عاثرٌ
لم أكتسبْ بصراً حديداً لا ولا جسداً جديداً
لم أشاركْ في احتفالات الخميس جميعها
عذري بأني كنت في (عيد النبات)[1]
موثّقَ الأطراف بالحُمّى
فلم أصعدْ إلى (القلعة)[2]
وبقيت وحدي دائخاً أتأمل الأزهار في حوض المياهِ
وأسمع الفتيات يغسلن الوجوه مرتلاتٍ سورةَ الشمعه:
(ها نحن في ورق النباتْ
قد صاغنا الصيّاغ، والصيّاغ ماتْ)[3]

---

[1] من أعياد الربيع المندثرة

[2] قلعة حمص التي كانت تجرى بها طقوس عيد النبات.

[3] ترتيلة من تراتيل عيد النبات

(خميس المشايخ)[1]

لهوٌ وألعابٌ على فرسٍ مجنّحْ
هذا ازدحامٌ خارقٌ، مثل القيامةِ
غير أنّ الورد يسقط من خدود العاشقات على
الرصيفِ أضمّهُ وأشمّهُ وأبوسهُ.
فأصير أشجى من نداء الروح:
أين حبيبتي؟
أعطيتها شالاً لأختي، خبّئي فيه الصليبَ
سنلتقي في العيد تحت سحابتينِ!
وكنت أعرف أنّها، نحل الغريزة لن تضيّعَ غابتي
أين اختفتْ؟ ولم النداء على شفاهي
ينبتُ الشوك المملّحْ!
عبثاً أفتّشُ، (فالسّناجق)[1] تحجب الأفق الكئيبَ

---

[1] من أعياد الربيع المندثرة

ورايةُ الفرسان تلمعُ
والأغاني والطّبول، تعمّق الأفخاخ في جسدي
لها اشتاقت عيوني..
وأصابعي حنّت لتلمس برعمَ الشفتينِ
أين حبيبتي؟
فصحي الجميلُ، يضيع منّي
سلّة (البيض الملّون)[2] في يميني
وأنا أداس من الخيول، من الجنونِ
وأنا أدوخ من الشيوخ، وأغرس السكين في صدري
وأصرخ أينها؟
أين التي واعدتها أن نلتقي في العيد تحت سحابتينِ!
فمات عيدُ المعجزات بلا سماءْ.!

---

[1] من طقوس خميس المشايخ

[2] من طقوس خميس المشايخ.

خميس الكتابة

(الشّاعرية) لا تريد فضاءها السلفيَّ...
كم سافرتَ في التاريخ كي تجد المكانَ
فما وجدتَ سوى الزمان..
يطوف كالأشباح في لغة تفسّرُ، لا تغيّر أو تشكّلُ
شارعاً أو منزلاً أو حانةً
حيث النساء يقمن بالغزْل البطيء لذكرياتكْ
مثل العجوز على السرير، تصالح البرد الشديدَ
ولست تجرؤ أن توسّد قطةً تحت اللحافِ
ولست تجرؤ أن تسافر في النبيذ إلى سباتكْ
ها أنت والأحلام والتفكيرُ
كيف تعيد للشغف القديم حصانهُ
أو كيف تكتب فهرساً للعاشقاتِ.
ولا تضيء بطاقةً اسميةً في ثوب ذاتكْ
الشّاعرية لا تريد مكانها الحجريَّ

قرب السور والأسواق والماضي المغبّرْ
الشّاعرية هاتفتني مرةً :
اذهب إلى تلك الحديقةِ
أقنعِ امرأةً بحبك ، ضمّها حتى العظام ،
وعسّلِ اللوز المقشّرْ
أنا لست أعرفُ... هل أريد (الواقعيّة) في الكتابةِ
أم أريد (الواقعية) في حياتي
أنا لست أعرف هل أريد ظلال ملحٍ
أم أريد شموس سُكّرْ...
أنا ربما طفل شقي... وانتمائي للمكان
يعيدني طفلاً يتيماً
أحتاج ذاكرةً لأولد من جديدٍ
مثلما أحتاج ثدياً ناهضاً
لبناً جديداً أو قديماً
(الشّاعرية) ، طفلة الرومانس أختٌ للغديرِ
تريد ماء أخضراً متسارعاً

قمراً، وأشرعةً، وإبحاراً عظيما
وأنا أريد البحث عن نبع أصيلٍ
يجعل الغدران نهراً مستديما
(الواقعيّة)، جدة الإنشاء، تخرج ماءها
حجراً ــ غيوما
يا حيرتي... مطرٌ ثقيلٌ
كيف أقدر أن أعوما؟

2006

***

تفاعيل التناص

1

عندي صديقٌ ــ فاعلاتن ــ يرسم الأثداء بالحوّارِ
تحت ظهيرة الأحلامِ
يقعي قربه قطٌ مدلّلْ.
يبدو صديقي حائراً...
وأنا أصرُّ عليه: لوِّنْها بزيت الأرجوانِ
وأرسل القطَّ الكسول ليشتري جسداً
يليق بوحدة الإيقاعِ، من سوق الصداقةِ
ــ أين هذا السوق؟ قال مراقباً بدويّةً تمشي إلينا
ــ سوف أصطاد الغزالةَ، قلتُ، دعنا نسأل الشفتينِ

عن سبب التشابه ، بين نص الفلفل المحروق ،
بعد القبلة الأولى
وبين طراوة (الشوكولاه) ، بعد الضمِّ.
بين نزيف أعواد القرنفل في اللسانِ
وبين كبريت الأصابع ، كلما التحمتْ لتشعل ما تعطّلْ
ــ تبدو نصوصكَ مثل ساقيها ، استعارتٍ ملحّنةً
فذرني ، أصْهر الذهب المخبأ تحت نصكَ
كي أصوغ لها الخلاخلَ
وفق إيقاعي تئنُّ
ولا ترنُّ كعادة النصِّ القديمِ
ولا تجنُّ كعادة النصِّ الحديثِ
ولا تموت كعادة الشعراءِ ، بعد الجنس في ليل الكتابةِ
لمْ نزلْ ، نتقاسم البدويّةَ المسروقةَ الأطفالِ
كم نحتاجُ من زمنٍ ، لنسرق ــ فاعلاتن ....
أجمل الماسات في (عقدٍ فريدٍ) حين تُصقل !

2

عندي صديقٌ ــ فاعلن ــ يحتاج لتراً من دمٍ
كي يصبح النصُّ الجديد مناسباً
لحماية الشهداءِ من عطر المراثي
في الفجر، يقرأ سورة الأطفال والزيتون والقتلى
وبعد الظهرِ، يمسك نحلةَ الأخبارِ
بعد العصر، يشرب شايه الفكريَّ
بالنعناعِ والثعبانِ والسلطانِ
يشكو لي جفافَ عروقهِ
وتكلّسَ الحبر المشاغبِ في شرايين الرؤى
أحتاجُ أن أبكي، يسلّمني مناديل القصيدةِ
إسطوانات النحيب، وساعة البيت القديمةِ
مسندَ القرآن، أدوية الصداع، وما تبقّى من أثاثِ
نمشي معاً قبل الوداع
ونترك الإيقاع يمشي خلفنا
نتأمل الأقمار تُذبحُ

أين تذهب؟ قلتُ، قال إلى ضريح ثقافتي
لأجادل التاريخ والأديانَ
ـ خذْها ـ فاعلن ـ بيديكَ عكّاز اللهاثِ
لم يكترثْ، رفع الحقيبة كالجبالِ
وسار نحو المشهد الكونيِّ
غذّيتُ الخطى، فكّرتُ بامرأةٍ ومذبحة على الإيقاعِ
قامتْ ـ فاعلن ـ من نومها
أمسكتها من صدرها، ومصصتُ أشعاراً
عن الشهداء والأطفال والتاريخِ
يا ـ فاعلن ـ حُيّيتِ من خمرٍ تضيء قلوبنا
لكنّ كرمكِ لمْ يُخصّبْ بالحراثِ

3

عندي صديقٌ آخرٌ ـ متفاعلن ـ
ختم الطريقة كلّها
شقَّ التراب بروحهِ

والزرع أنبته بلا مطرٍ
وكنتُ أحبّه ، وأسير في عرجٍ ليبدو مستقيماً..
هو أول الشعراءِ. فتّق روحه حزناً رخيماً
هو آخر الشعراء ، أسمع ما تبقّى من صداهُ
يخيطني ألفاً وميماً..
ماذا يغنّي الآن. تسألني القصيدة مرتين بدمعها
ــ مستفعلن ، متفاعلن .
ــ أولم تشبْ أجراسها في سقفه العمريِّ؟
ماذا تفعل الأوتادُ والأسبابُ
والريح الشديدة قلّعتْ أضراسه
ــ متفاعلن ــ صفةٌ من الإعصار ، أهمسُ
ــ لا تكذّبْ.. يقتل الإعصار آبائي لكي يبقى يتيما
وأنا يتيمكِ يا قصيدةُ ، غير أنّي مكرهٌ
مثل الحمامة أنْ أطير إلى اتجاه القمحِ
والإيقاعِ والشعر الجميلِ
ومكرهٌ أن أشتري لغةً

تشابه ما اشتراه بدرهمٍ
كنّا معاً في خيمة البدويِّ، نأكل سمنهُ
كنّا معاً في قاعة الأمراء، نشرب خمرهم
كنّا معاً في زحمة الفقهاء نرسم بيضةً
كنّا معاً... حين اكتشاف الكهرباءِ
وحين زرع القلبِ. كنّا..
(ماء ياقوت) القلوب بـ(ليلةَ انشقّ القمرْ)
من (منزل الأقنان) جئنا
من صدى (قصبٍ على الشرفاتِ)
(عرّاف الجحيم) يقودنا
نحو (انهياراتٍ) مطيره
(قالتْ مدى):
من (أين تبتدئ القصيدةُ)
(من مقام للنوى)...؟
أم تلك (شهْوات مبكّرةٌ)
تصادق جنّة الأثداء في (شيطان أغنية أخيره)

(لا تعتذر عمّا فعلتَ)!!
لنفترقْ... ــ متفاعلن ــ للسندبادْ
ــ متفاعلن ــ للإنفلونزا والحصادْ
فلْنفترقْ، عوضاً عن التجوال منصهرينَ
في المعنى، وفي المبنى
ــ لآيّة كعبةٍ نسعى؟
ــ إلى تلك المدينةِ
ــ كيف نُقْنع مارد المصباحِ أن ينسى حمايتها
ــ بما نقوى على بعث الحمام من القبورِ
ورشٍّ فجر القمح في عينيهِ.
بالقبل السريعة، نُخصِبُ العشّاقَ
بالنثر العميق، نفاجئ الأنهارَ
بالشِّعر الجديد، نغيّرُ (اتفق الرواةْ)
ــ متفاعلن ــ ليست عشيقتنا
ولكنْ أختنا، أخت الحياةْ

4

يشكو صديقي من ــ فعولنْ ـ
كلّما يحتاجها ، تأتي إليه بجيشها اللغويِّ
تحتلُّ المنافذ والجسورَ
وتقتل الكلمات إنْ جاءت على وزن الرملْ
أعوانها كثرٌ.. جنودٌ يتقنون الرميَ
عشّاقٌ بلا أسماءَ
مقتنعون بالتهذيب إنْ جُرح العسلْ
يشكو صديقي ، من صداها المعدنيِّ على اتجاهات القبلْ
يشكو حصانتها الفريدةَ
فالحصان هو الحصانُ
وليس يقدرُ أن يوازن
بين ما يحتاج من (فرسٍ) تشبُّ
وبين ما يقضي به وزن (الحصانْ)
ــ وإذا هربتَ إلى السماءِ!

ـ عليَّ وضع الشمس والأقمار والغيمات في الميزانِ
كي تأتي ـ فعولن ـ دون شكٍّ أو رهانْ
يشكو صديقي، ثمّ أشكو مثلهُ
فالحافر الغويُّ فوق الحافر اللغويِّ
والشعراء كربونٌ مغطّى بالورقْ
لغةٌ تداعب ثديها
نوقٌ توالد نفسها
قلقٌ على قلقٍ، ولا يفضي إلى غير القلقْ
ـ تبدو ـ فعولن ـ غير ذي زرعٍ إذاً..
ـ أخبرتُ أستاذ العروض بما تُبيّس من معانٍ
فارتأى أنّي عدوٌ للحبقْ
ـ لا بأس، أستاذ البعوض يرى
بأنّ بعوضه يكفي لتحريك الشفقْ!
لا بأس، أُخرج من جيوبي غابةً
أضعُ العروض مع البعوض
مع الورود مع (النشيد الدينيويّ)

قرب الجدال الشاعريّ
و(أنام في أيقونةٍ) تبدو (كزهر اللوز أو أبعدْ)
ضحكتْ ــ فعولن ــ حين قبّلني الصديق مهنئاً
ضحكتْ.... وأمّتنا صلاةً في اتجاهٍ غامضٍ يولدْ

5

نفس الصهيل الغامض المخنوق، نفسُ النعشِ
موسيقا مقيّدةٌ ــ مفاعلتن ــ مجازفةٌ من التحليقِ
في أفقٍ رصاصْ
ونحيب عاصفةٍ تهيأ للخلاصْ
ــ أتحبّها؟ سأل الصديقُ، وكان ينخلُ قمحها حتى تكنَّ
ــ كما أحبُّ مدينةً مجهولةً
أخشى التوغلَ في شوارعها
ــ إليكَ قصيدتي، حاولتُ فيها أن أروّضها
ــ فشلتَ.. أرى بها سفناً مجنحة تطير بلا هدى
وأرى غزالاتٍ مقيّدةً، تخاف من المِدى

أُنظرْ إلى صور القصيدةِ كيف تنسخ بعضها
متتالياتٍ، ماهراتٍ في التوالدِ
حاضراتٍ بالغناء، وبائساتٍ بالفِكَرْ
أنظرْ إلى تكوينكَ اللغويِّ
في بعض السطور، تشقُّ درباً واضحاً
نحو الغموض العذبِ
في أنحاء أخرى، لا نرى إلا جلابيب القمرْ!
المفرداتُ تجيء وفق مشيئة الأعشى
على الأهزاج تسهيلٌ
وفي رقصٍ، يجيء النصُّ مكتمل الإراده
ــ ألغيتَ كلَّ مهارة الشعراء!
ــ إنْ حضروا، وإن غابوا ــ مفاعلتن ــ ستقتلها الهواده
عاد الصديقُ إلى قصائده ينقّحها
وعدتُ إلى ــ مفاعيلن ــ أعلّم ظهرها حَمْلَ الولاده

6

ـ فعْلنْ ـ صديقي، منذ أن صار الهواء مناسباً للذمِّ
فجواتٌ من الأوزون، حرٌّ لا يطاقُ
تلوّثُ العينين من دمع السماءِ
تفاعل الفحم، الرصاص، المنغنيز. وسكب شمع الموت
في عين الربيعْ
صار الربيع يحبُّ ـ فعلن ـ (سرعة السنجاب في جمع
الثمارِ) وحنكة الرسّام في وصف الحوادثِ
من سقوط الطائراتِ
إلى التصاق الحبِّ بالمطّاط في زمن الصقيعْ
صار الغناء يحبُّ ـ فعلن ـ
كم تجيدُ تسلّق الأسوار بالشَّعر القصير إلى الأميرةِ
كم تجيدُ العوم في البحر الثقيلِ
إلى بلاد الجنِّ
قال، أحبُّ ـ فعلنْ ـ

إنما أخشى على ذهبي من التحليقِ
في نثرٍ سريعٍ قد يكوّن منه آلافَ الشظايا
– وكهوفُ أحلام الصبايا... عاشقاتِ الشمسِ،
والإدمانِ
والبطلِ المراوغِ
والجنودُ الميّتين، وكلُّ أشلاء المدارسِ، بسم دين الياسمينِ
ألا ترى – فعْلن – تضيء بهمْ (حكايا)؟
ولّى الصديق إلى قناعته، وأنجز نصّه الذهبيَّ
طفلي، صار يضحك، كيف نصّي لا تناسبه المرايا!
طفلي الذي ألقمته ثدي العلوم الصلبَ
كي يبقى بعيداً، عن نساء الشِّعر
والتحديق في الأعماقِ
والتجوال بالأعصابِ
(طقَّ) حياؤه الشعريُّ، وابتدأ الكتابةَ،
وفق إيقاع الطفوله
– فعلنْ ففعلنْ.، جاءت الأجراس تسعى في أغانيه الخجوله

وكأنّ ــ فعلن ـ ، أولُ الإنشادِ ، ذاكرةُ الجدود إلى الحفيدِ
ونثرُ شِعر القلبِ خلف القاطرات المسرعات إلى الكهوله
وكأنّ ــ فعلن ـ متعةُ الحرّاس في ربط الجديله
سأحبُّ ــ فعلن ــ من جديدٍ
ثمّ أعشق بعدها لغةً ولوده
سأضمّ ــ فعلن ــ من جديدٍ
ثمّ أنكح بعدها جزراً بعيده
سأنال ــ فعلن ــ من جديدٍ
ثمّ أولد من تفاعيلٍ جديده

7

أخرجتُ من صلبي النشيدَ ، فجاء مثلَ السلحفاةِ
عليه أحمالٌ ، ولا يدري اتجاهً للسفرْ
فسجنتهُ ، فيما سجنتُ
من النساءِ ، الذكرياتِ
وموتِ بعض الأصدقاءِ

وقالبِ الحلوى بطعم النصر، في قفص الصُورْ
أنسيتَها؟ قال الصديقُ مداعباً:
لا تنس ــ مستَعِلنْ ــ سفينتنا إلى بحر الرجزْ
لا تنس أيضاً أن تنظّفها لتبدو حلوةً في السجنِ
حجّبها بشال ــ متفْعلن ــ واعصرْ لها
ــ مستفعلن ــ فوق العيون لكي يكّحلها الكرزْ!
ــ مستفعلن ــ ذاتُ الربيع، متفعلن ذاتُ الفضاءِ
فكيف ــ مستعلن ــ تطير مع الربيع إلى الفضاءِ
وقلعة الأحجار تلبس عنْقها مثل الخرزْ!
ــ دعها إذاً، في البئر ترجو يوسفاً
دعها تحلّق في أراجيز القواعد والطبابةِ
والشريعةِ، والمشاريع الصغيرة لاكتساب الشِّعرِ
دعها، دون فلسفةٍ، تتاجر بالغبارْ
عصّبتُ رأسي كي أفكّرَ. جاءني مَلَكٌ
وألقاني إلى نفق الدوارْ
كم غبتُ عاماً؟ ربما عشرين لا أدري...
ولكنّي وجدتُ ــ متفعلن ــ ذات الفضاءِ تنوء بالغربانِ

كانتْ تحتها ــ مستفعلن ــ ذات الربيعِ
تسير في وادي الصقيعْ
ووجدتُ ــ مستعلن ــ بكلّ مرونة القصب المجوّفِ
والأناقةِ، تحمل الشِّعرَ الصريعْ!
أفلمْ نكنْ يا صاحبي، نحن التفاعيل المريضه!
أفلمْ نكنْ (أنتَ الأنا) ــ مستفعلن ـ
البابَ والأسوارَ والطرقَ العريضه!
أفلمْ نكنْ في الاكتشاف الصعبِ ــ مستعلن ـ
ثقالةَ طائرٍ هرمٍ
وخفّةَ شاعرٍ قزمٍ، به قلق البعوضه!
هل أنتَ مثلي فيلسوفٌ قاصرٌ
عن فهم أحجية التحوّل هذهِ؟
أم أنتَ مثلي شاعرٌ متمكّنٌ يدحو عروضَه!
يا صاحبي، كنْ سورتي في سورة الشعراءِ
لمّعْ صورتي فيها بحبر العصرِ
لا تنس الإضافة تحتها:

ما جاءنا وحيٌ ولا نُسبتْ إلينا آيةٌ
لكنّنا مثل النعام يموتُ، كي يحمي بيوضه..

8

صوت القطار، رتابة السكك الطويلة، والنعاسْ
خدرٌ لذيذٌ في العروق
تسرّب الإيقاع من كلّ الحواسْ
النومُ لا كالنومِ بل حلمٌ يطولْ
الركض لا كالركض بل فرح الخيولْ
برقٌ فإسراعٌ، مجازفةٌ وإبطاءٌ
وتوأمة النساء مع الكلامِ
لكي يجيء النصُّ توليفا (لتسع دقائقٍ)
(ربع المجامعة اشتهاءٌ، ربعها بحث الشفاهِ
ونصفها محض اقتباسْ)!!
بالحتِّ من مجرى الجنونِ
بقفزة العملاق فوق الصخرِ

بالبحث الشديد عن الجمالِ
بمتعة التنقيب في كهف الجرائد والنفائسِ
عن جريدٍ، لم يُرّقمْ
باليقين ــ الشكُّ، حول ولادة الإلهامِ
نبدأ بالكتابة،
متعبين من النهايةِ
قبل زرع النّطفة الزّرقاء في وهم الغراسْ
لا شيء يسعدنا سوى الإمساك بالقلق العظيمِ
وربطهِ بين المعاني، حيث يصبح قادراً
أن يجعل الكلماتِ مهداً زائفاً للمجدِ.
رغم محبة القرّاء، والتصفيقِ
رغم حرارة القبلاتِ
رغم وضوح بوصلة العروض إلى تناصّ اللّفظِ
لسنا قادرين، على اليقين بأنّ معنى النصَّ
يولد، من طباقِ أو جناسْ!
كم (دونَ كيشوتٍ) خلقنا! كم حملنا بانتصاراتٍ مؤجلةٍ

شققنا البحرَ، زرنا الكهفَ، تهنا في الصحارى
ثمّ عدنا...
هاهو الميراثُ، بعد الحبر، أوراقٌ وشاهدةٌ وآسْ
آهٍ علينا صاحبي...
الشِّعر ننسجه بإبرة حائكٍ
والنصُّ مضطرٌّ إلى لبس النُحاسْ
ليصير أجمل من كآبتنا
وأقوى من سهام النثرِ
(هل نزفتْ دماً، ــ متفاعلن ـ؟
عرجتْ بنصّي، مرةً أو مرتينْ؟)
سألاحق العرجَ المضيءَ، لأقطع الساق الجريحةَ
ربّما أنسى قليلاً قطْعها..
أو ربّما أخشى على جسد القصيدة أن يُداسْ!
أو ربّما...
(فرحاً بما أوتيتُ من شعْرٍ)، أصلّي، أنْ أهتّكَ أو أُباسْ
أو ربّما...

9

كلّ التفاعيل انتصارٌ للضروره
كلّ انفلاتٍ للعروض، خسارةُ الخنساء خيمتها الوثيره
كلّ التصاقٍ بالنظام، هزيمةُ الماغوط في حرب البصيره
كلّ انفصالٍ عن جذورٍ، خطوةُ الروح الأخيره
ــ تبدو معادلةً من الكيمياء يصعب حلّها
شرب الصديق زجاجة التفّاحِ
كنّا نحرث البستانَ، بعد هبوطنا
من كوكب البدويّة البريِّ، كي نجد الجزيره
ــ (البيت أجملُ، أم طريق البيت أجملُ؟)
برتقال الحقل أطيب، أم عناء البرتقالِ؟
قصيدة الإيقاع أخصبُ، أم مواقعة الكلامِ؟
تشرّد العشاق في المعنى، أم المعنى المعشّق بالغيابِ؟
رمى (قفا نبك) الصديقُ على الترابِ

فأنبتتْ ورقاً غريباً
عدتُ أقرأ ما كتبتُ، فأطلعتْ زهراً جديداً
عدتُ أعشقُ ما كتبتُ، فأسقطتْ قمحاً كثيراً
عـدتً أسـألُ مـا كتـبتُ، فـردد البـستان، والطاحـونُ،
أسئلتي الكثيره
شرب الصديق زجاجتي
فأخذتُ من شفتيه ماءً للخميره

2006

***

إشارات:

1. (منزل الأقنان) مجموعة شعرية لبدر شاكر السياب، 1962.
2. (من أين تبتدئ القصيدة)، مجموعة شعرية لمصطفى خضر، 1983.
3. (انهياراتٌ)، مجموعة شعرية لممدوح السكاف، 1985.
4. (من مقام النوى)، مجموعة شعرية لعبد الكريم الناعم 1988.
5. (شيطان الأغنية الأخيرة)، مجموعة شعرية لعبد النبي تلاوي، 1989.
6. (ماء الياقوت)، مجموعة شعرية لعبد القادر الحصني، 1994.
7. (شهوات مبكرة)، مجموعة شعرية لشوقي بزيع، 1998.
8. (النشيد الدينيويْ)، مجموعة بخصوصية شعرية جميلة لمصطفى خضر، 1999.

9. (قالت مدى)، قصائد للأطفال، لمحمد وليد المصري، 2000.
10. (عرّاف الجحيم)، مجموعة شعرية لمحمد علاء الدين عبد المولى، 2000.
11. (ينام في الأيقونة)، مجموعة بخصوصية شعرية جميلة لعبد القادر الحصني، 2000.
12. (ليلة انشقّ القمر)، مجموعة شعرية لمحمود نقشو، 2004.
13. (لا تعتذرْ عمّا فعلت)، مجموعة شعرية لمحمود درويش، 2004.
14. (قصب على الشرفات)، مجموعة شعرية لمحمد الفهد، 2005.
15. (كزهر اللوز أو أبعدْ)، مجموعة بخصوصية شعرية جميلة لمحمود درويش، 2005.
16. فرحاً بما أوتيت من موتى: من تراجيديا عربية لمحمد علاء الدين عبد المولى، 1998.

***

أصدقائي من تمّوز

أصدقائي من الشهداءْ
أصدقائي من الحربِ والحبِّ. طيرُ الجنود وعشُّ النساءْ
إنَّ شعري خفيفٌ، وأشعاركمْ وزنها كربلاءْ
إنَّ صمتي ثقيلٌ، وصوت الصواريخ
يرفع مكّةَ نحو السماءْ
لست أمدحكم طمعاً في الإمامةِ أو في الخلافةِ
أجهل كلَّ التفاصيلِ
أرفض كلَّ التفاصيلِ
عمّا يؤسّسُ جمراً هنا، وحريقاً هناكْ
صفتي الوطنيّةُ أنضج من يابسات الطوائفِ
لكنني أعشق الآن، ما يجعل الروحَ

توّاقةً لامتياز الحياة الكريمةِ
والبحثِ عن مخرج الطيران السريع بدون براقٍ
إلى كوكب الكبرياءْ
إنني مفردٌ...
أجد النوم قرب الجدود غباءً
كما أنني أجد البحثَ في كتب الفيزياءِ
أهمّ وأجدى من البحث عن صفةٍ للملاكْ
مفردٌ، غير أن تصالبتُ فوق جدار الهلاكْ
الجدار الذي وصلته نمال الدعاءْ!
الجدار الذي يفصل الإمبراطور عن الفقراءْ!
أصدقائي من المطر/ الدمعِ
والمطرِ/ الحبرِ
والمطرِ/ الرعدِ
لم يبق للكائن العربيِّ سوى الفأسِ واليأسِ
لم يبق للكوكب الدمويِّ سوى أن يدمّر ذاتهُ
ثم يشكّلُ ثانيةً روحه بالبكاءْ

لا أبرئ نفسي!
لقد عشتُ مستتراً بالظلالِ
أنا العربيُّ الذي صار معناه جاريةً مستعاره
وأنا السندباد الذي من أجل ريحٍ يبخّر جاره
وأنا البائعُ المتجول في الشارع النوويِّ
أنا الشيخُ في أربعين الحروبِ
أنا السارق المتأنقُ
والعسكر المترهلُ
ما زلت أجهل سر التناصّ المبرمجِ
بين الرواجمِ، والفقرِ
بين العيون الذكيةِ في الطائراتِ، وأميّة الناسِ
بين البوارجِ، والجنِّ
بين الدعاء على المجرمين
وبين الهبوب إلى جانب الأنبياءْ
أصدقائي من الملح، والثلج،
واللبن، الكفن، السَّكَرِ، الأنقياءْ

ما عليَّ سوى الزحف نحو البياضْ...
البياض الذي حولكم يتشكّلْ...
البياض الذي من دمٍ يتحوّلْ
البياض الذي يتسرّب عبر الترابِ
ليملأ أوعية الماء في كلِّ فجٍّ عميقٍ
ويصنع أقنيةً لا تبدّلْ...

2006

***

رغبة الشاعر

أفهم الآن لماذا
استيقظ الوحش بأعماقي وجرَّ الأرض نحو الهاويةْ
ولماذا، صار حزني مرجلاً يغلي
ولا يكفيه كلُّ الحطب الشعري
كي يحرق (عزرائيل)[1] وإسرائيلَ..
رمزَ الهرطقات الباليه
ولماذا صار حلمي أمريكيَّ الإثاره
أقتل الطالح والصالح كي أشفي غليلي
لأقلْ: أشفي غليل الطفلة المفصولة الأجزاءِ

---

[1] عزرائيل: اسم عبري، لملك الموت، دخيل على الثقافة الإسلامية.

في ثلاجةٍ تدعى الحضاره
آه من روحي التي صارت مناطيد خرابٍ
في سماء الموتِ، كيف احتملتْ قصف الصواريخِ
ولم تسقطْ على الأرض غطاءً لنعوش الشهداءْ؟
آه من قوتها، المأساةِ والملهاةِ والبلهاءِ
ما أجدر أن أدفنها قرب غباء الورق الباردِ
والوحشُ يغنّي في عروقي:
اقتل القاتلَ، يا شاعر، يا حطّاب،
يا شحاذ، يا رعديد، يا كذّابُ..
إنّ الحبر لن يملأ ثقب الطلقة الأسودَ
في عين صغيرٍ يمطر الروح صراخاً.. أين ماما؟
أفهم الآن تماماً
قدرة الشاعر أن يغلق عينيه وأبوابه في ليل جهنمْ
كاتماً أجراسه، يشعل سيجارته، يمسك بارودة صيدٍ
يتبع الطلقة بالطلقةِ... كي يرحلَ.. كيلا يتألمْ
أفهم الآن تماماً

رغبة الشاعر أن يصرخ أو يشتمَ
لكنْ لست أفهمْ :
بيولوجية ذهنٍ عربيٍّ
يلد الأطفال كالفئران ، كي تقتلَ أو تسلخَ
كلاّ لست أفهمْ !

2006

***

شاعر المقعد الاحتياط

أنا شاعر المقعد الاحتياط...!
أحبُّ التحدث مثل أخٍ للجميعِ:
أنا مولعٌ بالجميلة (فيروزَ)
أكره (هيفا)، ولحمَ الخرافِ
أحبُّ انتظام العصافير فوق حبال الغسيلِ
وأعشق فوضى القططْ
ولم أكُ يوماً بماسح أحذيةٍ في البلاطْ
أدخّن تبغاً كثيراً، وأشرب من كيمياء الحضارة أكثرَ
شايي أفضّله أخضراً
قهوتي (سادةٌ) أو وسطْ
أنا لا أحبُّ المقاهي، ونفثَ الأراكيلِ

جرَّ القطارات من ساحل العاجِ..!
ذمِّ المكانِ، ومدح الصواني
وبيعَ الأماني بكيس اللغطْ
أفضّل زاويةً من نسيجٍ، على صدر أنثى
لأصنع فيها قميص السهرْ
كما أنني أتفاءل أن أعكس الكونَ في صورتي
مثلما ينبغي أن يكونَ
لهذا، ثيابي مرتبةٌ، وحذائي نظيفٌ
أدرّس علم المياه، وأعرف كيف أجمّعه في السدودِ
وكيف أمدّ الشرايين للقمحِ
أعرف كيف أنظفه من رماد المصانع في المختبرْ
وأعرف كيف أرشّه فوق القصيدة كيلا يموت الشجرْ
لديّ من الأصدقاء الكثيرُ الجميلُ
وأولهم، عنتر العبسيّ، مروراً بقيسَ
إلى ابن حزم ورشدٍ
إلى المتنبي، وحنّا ومكسيم، رامبو ولوركا ودرويش

ثمّ أنا، ثمّ أنتَ..
وآخرهم، بنت عمّي التي اختمرت في حدائق اسبانيا
ثمّ عادت إلى حمص فائضةً بالثمرْ
أنا شاعر المقعد الاحتياطْ
أنا عاشق الخبز والنعنع البلديِّ
ولن أدّعي، أنني بارعٌ في اللغاتِ وأنّ (ايثاكا)
تنمذج حلمي
ولن أدّعي أنني أحذف (الدال) من قبل اسمي
ليرضى المعريُّ عني
ولن أدّعي أنني أتنفسُ فكراً نظيفاً
وأملك كلَّ المهاراتِ
لن أدّعي أنني خارقٌ.. لي فقطْ
أن أقدّم نفسي إليكمْ
كما يقتضي المهرجانْ
وأرخّم صوتي، فأطربكم
مثلما يفعل المقرئون بسورة مريمَ

أو قد أكبّر تكبيرةً للآذانْ..!
سأغادر دون سؤالٍ
ولكنّني سأقدم بعض الإجابات ذات الغرضْ:
أولاً، حمص دون أساطير، عنقاءُ تنتظر المهرجانَ
ودون مواعيد، سيدةٌ في الحجاب مسيّجةٌ بالحجلْ
ثانياً، حمص أجمل من طعنها مرّتينِ:
إذا حضر الشعراءُ ولم تنتحرْ نحلةٌ بالعسلْ!!
أو إذا تُفّــه الــبعضُ مــنهم. لأنّ الوجــوديَّ عكــسُ
الخطابيِّ، عكسُ السياسيِّ، يجهل نطق الجملْ!
ثالثاً، لا أبالي بتصفيق تفاحةٍ في السهولِ
أنا المغنطيس أجاذب نحوي الإشارات
من كل وادٍ طللْ
رابعاً، إنّ سخريتي لا تليقُ!
أنا ألف شخصٍ مهذبْ
في (عمارة يعقوبيان) يصلّي ويلعبْ
خامساً، سأغادر بعد دقائق أخرى

دقائق أخرى ، وتصبح بيروت أنثى اللهبْ
وسيرغب كلُّ العربْ
بالهروب إلى مقعد الاحتياطِ
وتسلية الحكم الدمويِّ ببعض الخطبْ
سادساً ، جُلدتْ ناقتي بالسياطْ
فدرّت حليب براءتها بامتيازٍ
ودرّتْ فمي باعتباطْ
سابعاً ، كرةٌ ساحره
لغةٌ ماهره
عتمةٌ باهره
شاعر المقعد الاحتياطْ...!

2006

***

ليلى والشاعر

ذاتُ القبعة الحمراءْ....
تركض فوق الأنهار وأعلى الأشجارِ
وتهبط في الأعماقِ
لتصعد في فجر اليوم الخامسِ
كي تبدع في خلق الأشياءْ
الجبلُ الأقصى، والوعل النازفُ، رسم الكهفِ
نداءُ التربة، موهبةُ الفلاحِ، معابدُ عشتارَ
متاحفُ روما، هندسةُ الذرّة، أبراجُ الطالعِ
حمّى العشق، رهابُ الموت، بناءُ المحفلِ، قتلُ الرمزِ
عيونُ القطة، دمعُ النحلة، ... والقصّةُ من هذي الأشياءْ:

في سلتها خبزٌ ورديٌ ساخنْ
وأصابعُ حلوى بالنعناعِ .
كثيرٌ من ألوان الرسم وفرشاةٌ خضراءْ
تسرع في مشيتها نحو الجدّةِ. في الغابة ذئبٌ
أصرخ ، لا تقتربي
ذئبٌ يلمع كالبرق ، أراه بعينيكِ يقلّب أوراق القصّةِ
عودي ، فالجدة ماتتْ ، والغابة أفخاخ دماءْ
لا تحزنْ ، (تكتب لي من إحدى المدن الذهبيّة في
عمق الصحراءْ) غيّرتُ القصةَ ، هل تذكرُ؟
أوقفني الذئبُ وجزّ حدائق شَعري
قبّل وجهي بلسان الملحِ
وجرّدني من ثوب التوت الأحمرِ
قاومتُ ، تحوّلتُ إلى مطرٍ يعصفُ..
فرشاتي الخضراء على مخلبهِ
ألواني الخضراء على فكيهِ
تراجع ينزفُ. أشفقتُ على شهوته العمياءِ

تعرّيتُ لأرسمهُ....
حتى صار كلون عيونك، ذئباً أخضرَ!
عشتُ طويلاً في الغابة معهُ
هل أتركهُ؟ لا لن أتركه كي يفترس امرأة غيري
لا تقدر أن ترسمه باللون الأخضرِ).
والقصة تَتْرى...
هي تسكن في حيّ (الوعر)، قديماً في (الغوطةِ)[1]
في أعماقي تسكن...
في بهو الكليّة، أو سوق القرية. لا فرقَ
فما يلزم كي تبصرها، عينٌ في أعلى القلبِ
وما يلزم كي تعشقها هو ما يلزم كي تهجرها. أي:
أن تقرأ كلَّ القصصِ، الأشعارِ، الموسيقا، الأسرارِ
السّيرِ الذاتيةِ للعشّاق وللشّعراء وللغرباءْ
كي تعرف أنك لا تعرف شيئاً!

---

[1] الوعر والغوطة: من أحياء مدينة حمص.

فالوهم سياجُ الواقعِ
والواقع وهمٌ في المطلقِ
واللوحة فارغةٌ، والمرأة في السوقِ
تفتش عن رجل – ذئبٍ –
ترفض أن تقرأ عن سلّة ليلى الملأى بالجنّاتْ
والمرأة في القصة، ترسم أحلاماً أخرى
وتعود إلى الظلماتْ
ماذا يبقى بعدَ الكلماتْ..؟؟
غير محاولة الشاعر سرد القصّة ثالثةً
بحثاً عن وديانٍ ترقص فيها الجنّياتْ...!

2007

***

من منكم ؟

من منكم ، في البيت توضأ بالعشقِ
وجاء يصلّي ركعات لا توصل للجنّةِ...؟!
من منكم أغلق عينيه قليلاً
كي ينظر في الآبارِ..
هناك بعيداً ، حيث الروح تفتش عن أسماء الماءْ
من منكم جاء بلا أسماءْ؟
أتخيّل أن كثيراً منكمْ
قام من القيلولة قبل قليلٍ
حلّى قهوته ، شذّب لحيته ، وتزيّن للأيام البيضاءْ
من منكم يقرأ قبل النوم...
من منكم بعد النوم يلامس برقاً

في أعماق الكتب المهجورةِ
كي يدخل في روح العالمِ
بوصلةً قطبيها الصمتْ؟
من منّا يزرع وادي الموتْ؟
أيامٌ، أيامٌ.. بيضاءْ....
تصلح للصوم وقطف الزيتونِ
ملاحقة الفتيات، شراء الحلويات، وحصر الإرثِ
وتتويج الأجساد بلذة شهوتها
أيامٌ، أحلامٌ.. بيضاءْ....
أهرام السُّكر والسُكْر، نرصّ جوانبها كي ندفن فيها
كي ننسى ميراث القتل المتجدّدِ
كيلا نسمع قلب الطفلة تحت ركام القصفِ
وكيلا نبكي..
فتذوب هشاشتها عن ثقب يؤمن بالفئرانِ
وعن فأرٍ يحبل بالأسوارِ
وعن سور لا يصلح إلا مرآباً للشهداءْ!

من يبكي اليوم إذاً؟
بيئيٌّ لا يعرف فكَّ حروف الكون اللغويِّ
سياسيٌّ، يجهل مبدأ حفظ الطاقه
جمهوريٌّ، ملكيٌّ
شرقيٌّ وأصوليٌّ
غربيٌّ، وحداثيٌّ
وأديبٌ يجهل معنى أو مبنى تسريع النترونِ
على المسرح يلقون خطاباتٍ دمها أثقل من ناقه!!
والناقة لا تصنع خلاً من تفاح الأشياءْ
والناقة وصفٌ (للمعنى الدارج)
معنى أن تبقى أفقياً، قربك تابوتٌ شاقوليٌّ
تركب سيارة موتى بحثاً عن هندسة الأثداءْ!
والناقة تركض عمياء إلى المستقبل،
والحاضر محض عماءْ
من منّا قام بذبح الناقةِ،
إيقاف السيارة في منتصف العمرِ

ليشبع من جوع الصحراءْ
من منّا جاء إلى القاعة كرمى لعيون الشعرِ
وليس لأجل فمِ الشعراءْ..!
عذراً.. لغتي حجرٌ
لكني في الأعماق أجيش كنهر لا يُعرف مجراهُ
ولست أبالغ كالصّوفيِّ
ولست أجادل كالثوريّ
ولكنّي قبل قليلٍ وأنا في البيت أراجع أشعاري
أحسست بأني أضُرمُ في وطني
وطني لغتي... أنتم والقاعةُ...
واستجداء التصفيق اللا مجدي
أحسست بأني لن أصنع فرقاً
يجعل من سيدةٍ ترقص كالنحلةِ
أو من رجل يبكي كالغيمةِ
أو من طفلٍ يصرخ بالإمبراطورِ الشاعر:
أين ثيابكَ؟

لست أراهق، لست أنافقُ، لكنيّ
وكمنْ يكتب تقريراً سريّاً
قمتُ بوضع الطابع لا في الأسفل،
حيث يريد الشرطيُّ
ولكنْ خلف وريقاتٍ زرقاءْ
بعد قليل تذهب للنشرِ
وقد تذهب معكم طائعةً صالحةً
للاستخدام المتعدّد في المنزلِ
حفظ لفافات الزعترِ، إشعال الموقدِ، مسح البلّورِ
لذا لا أرجو منكم بعض الجمر وبعض الماءْ!
أرجو تعليم الأطفال الرسمَ
على أوراق الأيام البيضاءْ...

2008

***

المطر المستحيل

كمنْ يتسلّق أعلى سماءٍ إلى المطر المستحيلِ
كمنْ يتنفسّ شوكاً، ويلمس جمراً
ويسقط في كرة لازورديّةٍ فوق نهر الظلامْ...
هو البحث عنكِ...
صفاتك غير صفات النساء،
لذا كلّ عام أبوّبها بانتظامْ:
حضورك ظلّ الغزالة في عدوها المتسارع نحو الربيعِ
شفاهك فيض البحيرات بالعسل القرمزيِّ
الجبين نهاية كون الأرزّ ومهبط كلِّ الحمامْ
عيونك صيف جميلٌ
طويل الحكاية في مهرجان الكلامْ

وصوتكِ ألفُ غديرٍ
يفيض مقامات ماس
قوامك جمع الأساطير بالآس
يعني : مصالحة الجنس والموتِ
يعني : الوقوف على مشهدٍ خالدٍ : حلمةٌ لا تنامْ !
برغم وضوح تفاصيلك الجسدية لا أستطيع اقتراباً
إلى أيّ جزئيّة قد تحدّد روحكِ
لا أستطيع اكتشاف العناقيد في الخابيه
لأن الوصول إليك يعمق فخَّ النهايةِ
والبحث عنك هو الطيران الوحيد المتاح إلى الهاويه !
ولا أدّعي أنني قادرٌ أن أطيرْ
ولكنّ روحي إذا ما بكى الجسدان تحنّ
وتركض حافيةً في مساء الثقافة
بحثاً عن الكوكب الداخليِّ الصغيرْ
ولا أدّعي أنني قادر أن أسيرْ
ولكنّ نفسي بما حملتْ من تراث الصبابات

تأنف من شهقات الحريرْ
حقول الصنوبر تحت الآباطِ
تشجّعني أن أمدّ يدي تحت ثوبكِ
ما أمتع البحث عن غابة تاليه!!
يديْ لا تريد الرحيلْ
يديْ لا تزال تفتش عن مطرٍ مستحيلْ
يديْ في يديك توجّه مائي إلى الساقيه
فكيف أحرّر حبري من القبلة ــ النقطة التاليه؟
على الرغم مني أحبكِ...
تبدو مراهقتي معْلماً فوق أعلى جبلْ
أحبكِ.. أبحث عنك..
ولا أستطيع الوصول.. ولا أتمنّاه
بعد قليل، تغيّر رأيي مناقشةُ النهد بعد ارتجال القبلْ!
أحبكِ، تبدو الحصافة سدّاً عتيقاً أمام انهمار العسلْ.

2008

***

الفهرس

قمرٌ على عكاظ 5

أيها النادل 7
سأنتظر القادمين 9
اقتباس بستان العشق..... 12
صار كالبحر 18
ذات الصباح 20
نايا 22
سيتي سنتر 24
أسئلة على وجه فاعلاتن 28
يا دار عبلة 31
شكراً لها 39
حداء في نيسان..... 42
لأنَّ الحُبَّ..... 48

ظلال وألوان

جدتها تسأل عن جمل جاء بورد 55
مقاطع من كتاب الحيوان..... 62
مقامات..... 73
بيتها في الصباح 77
رسالة..... 80
مهارات جسد شرقي..... 82
الذرة الزرقاء..... 95
صور وصفية..... 101
حمص 110
حجر الفلاسفة 122
أبو العلاء المعري ـ ذاكرات 124
ميثيولوجيا الأيام 134
تفاعيل التناص 148
أصدقائي من تمّوز..... 171
رغبة الشاعر..... 175
شاعر المقعد الاحتياط..... 178
ليلى والشاعر..... 183
من منكم؟..... 187
المطر المستحيل 192

الإصدارات:

- صباح الجنة، مساء الحب. شعر، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 1998م.
- حصاد الماء. شعر، حمص، 2000م.
- صانعة الأحلام. قصة، الهيئة العليا لجوائز مسابقات أنجال الشيخ هزاع بن زايد آل نهيان لثقافة الطفل العربي، 2001م.
- قصائد لغيره. شعر، وزارة الثقافة، دمشق، 2002م.
- ذاكرة الغياب. شعر، اتحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2005م.

ميثيولوجيا الأيام / حسان الجودي
دمشق : اتحاد الكتاب العرب ، ٢٠٠٨ ـ ١٩٧ ص؛ ٢٠ سم .
سلسلة الشعر (١٣)

١ ـ ٨١١,٩ ج و د م ٢ ـ العنوان ٣ ـ الجودي ٤ ـ السلسلة
ع - ٢٠٠٨/٨/١٧٩٦

مكتبة الأســـد

تحظى قصائد المجموعة بأبعادها القصوى
من خلال المكان القديم – الجديد الذي تسطع مفرادته
تشكل خميس الحلاوة. إضاءة سابغة لبيئة الشاعر (مدينة حمص)
عمارتها الحديثة وأسواقها القديمة بقايا احتفالات أعياد الربيع خميس الحلاوة.
ي المجموعة أيضا ذاكرات تنداح متباعدة عن مركز المكان، توغل عميقا في زمان
نترة العبسي وأبي العلاء وديك الجن وهي تعبر بالنتيجة عن رؤية الشاعر عن الذات والكون .
ي القصائد فضاء آخر هو علاقة الشاعر مع لغته الشعرية المؤسّسة لإبداعه، وتجليات
ك على النصّ الشعري من حيث البنية الفنيّة وعلاقتها مع الرّؤى الشعرية
قد طبّق الشاعر ذلك في استخدام الأشكال الفنية المختلفة
ي بناء كافة نصوصه الشعريّة الحداثية المختلفة .

ثمن النسخة 150 ل.س في القطر
250 ل.س في أقطار الوطن العربي

بعة اتحاد الكتاب العرب
دمشق